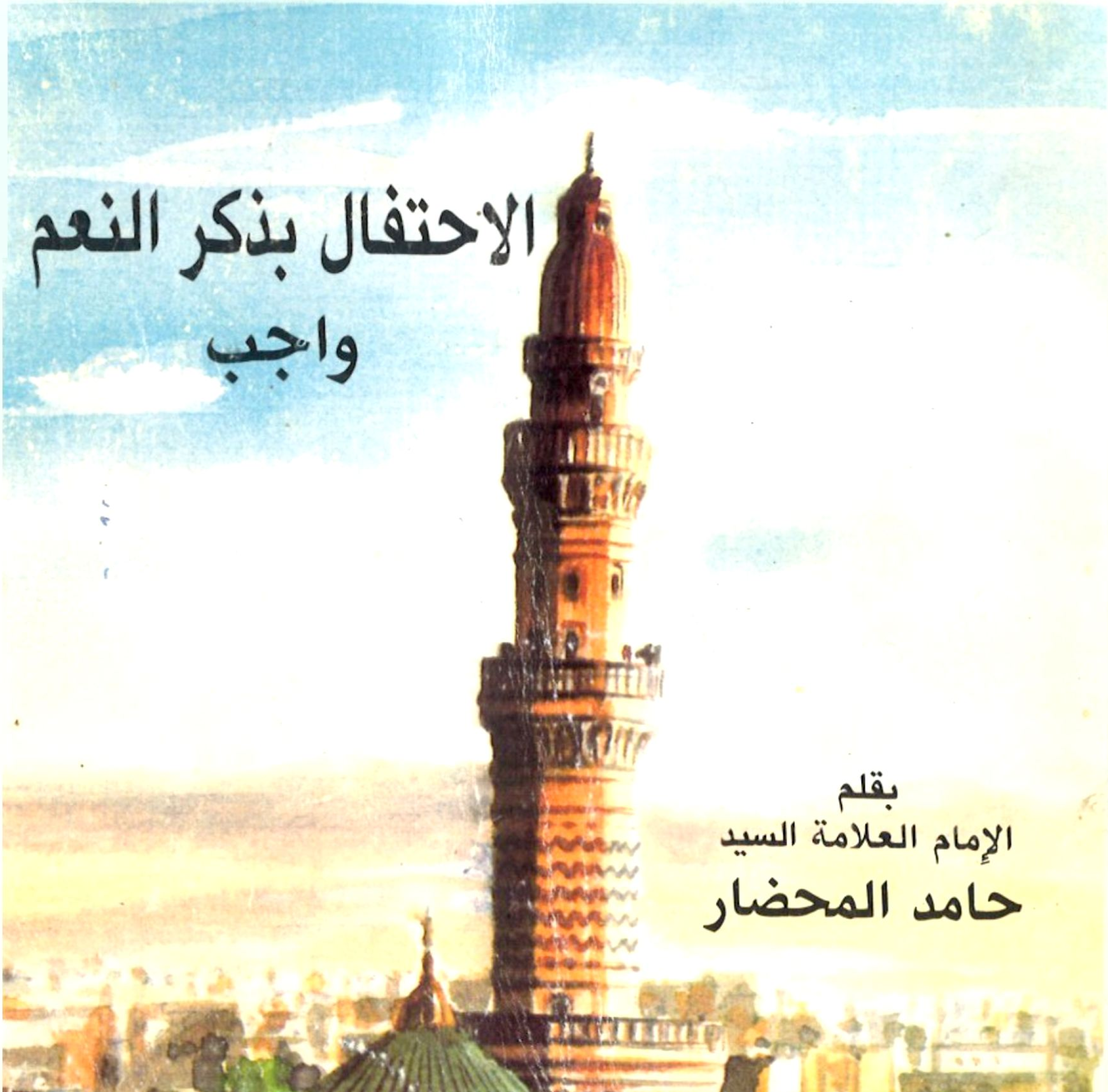

الاحتفال بذكر النعم
واجب

بقلم

الإمام العلامة السيد

حامد المحضار

«وقف لله تعالى»

مكتبة حسن الحداد

الاحتفال بذكر النعم واجب

بقلم

الإمام العلامة السيد

حامد المحضار

قدم له وكتب حاشيته

محمد نجيب المطيعي

صاحب تكملة المجموع شرح المهذب

الطبعة الثانية
١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م

في الطليعة من قمم العلماء في العصر الحديث من أهل الفقه والعلم والحديث ممن لهم القول الواضح المفيد في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف سليل الأنصار وصفوة الأخيار معالي الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الخزرجي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ورئيس لجنة التراث بدولة الإمارات العربية المتحدة ومن كتابه القول الواضح المفيد في قراءة المولد في كل عام جديد ننقل الآتي:

المولد النبوي الشريف
بيان حكم قراءة المولد والاحتفال به

الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم، مستحب، لما فيه من إظهار الفرح والسرور بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، والصلاة والسلام عليه، وإطعام الطعام.. إلى غير ذلك من الأفعال والأقوال الحسنة كذكر حياته وأخلاقه، والأدوار التي مر بها من صغره، حتى توفاه الله تعالى.

والاحتفال باعث للمحبة التي تزيد في الإيمان، وتثمر بالأعمال الصالحة، وقد قال الإمام الجليل الشمس ابن الجوزي، إن مما جرب أن من فعل ذلك كان له أماناً من ذلك العام.

وأول من أحدث ذلك، الملك المظفر، صاحب اربل المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية، وكان يحضر المواليد التي تقام أعيانُ العلماء والصوفية ويصرف على المولد ثلاثمائة ألف دينار.

واستدل، شيخ الإسلام، الحافظ ابن حجر العسقلاني، أن المولد بدعة حسنة، بخبر الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم، لما قدم المدينة، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هذا يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجى موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالى.

فقال صلى الله عليه وسلم، أنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه.

فقال شيخ الإسلام؛ يستفاد منه فضل الشكر لله تعالى، بأنواع العبادات، على ما من به في يوم معين، من إسداء نعمة، أو دفع نقمة ويعاد ذلك في كل سنة في مثل ذلك اليوم.

وأي نعمة أفضل وأعظم من نعمة بروز النبي صلى الله عليه وسلم، في ذلك اليوم!! نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

ووافقه بهذا الاستدلال كثير من العلماء، منهم الحافظ ابن الحنبلي، واستدل العلامة السيوطي، على أن المولد مستحب، بما أخرجه البيهقي، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، عقّ عن نفسه، بعد النبوة، والحال أن جده عبد المطلب عقّ عنه سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد فيحمل على أن هذا الذي فعله. إظهاراً للشكر على إظهاره رحمة للعالمين. كما كان يصلي على نفسه صلى الله عليه وسلم.

فلذلك يستحب لنا إظهار الشكر له تعالى بمولده صلى الله عليه وسلم، بالاجتماع، وإطعام الطعام، وإظهار المسرات روى هذا الحديث أحمد والبزاز.

وجاء عن الإمام الزاهد القدوة، أبي اسحق، إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جماعة، رحمة الله عليهم، أنه لما كان بطيبة، كان يعمل المولد، ويصنع الطعام للناس، ويقول لو أستطيع لعملت بطول الشهر كل يوم مولداً.

قال ابن الجوزي، رحمه الله تعالى، إذا كان أبو لهب، يخفف عنه العذاب يوم الاثنين، بفرحه بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وعتقه جاريته التي بشرته بالنبي يوم ولد، فما حال المسلم الذي يسر بمولده، ويبذل ما يقدر عليه.

وما أحسن ما قال الحافظ الشمس محمد بن ناصر الدين الدمشقي في ذلك:

«إذا كان هذا كافراً جاء ذمه وتبت يداه في الجحيم مخلداً
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي عاش عمره بأحمد مسروراً ومات موحداً».

وذكر الشيخ محمد علي مالكي، مفتي الحرمين الشريفين في عصره في آخر كتاب الصارم المبيد، نقلاً عن بعض علماء الأحناف، أن الاحتفال بالمولد مستحب لأن الله تعالى يقول لنبيه: «وَما أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رحمةً لِلْعَالَمِينَ». والرحمة هي من أعظم النعم.

وقد ورد الأمر بالتحدث بالنعم الفائضة عليه، صلى الله عليه وسلم، بالبيانات التفصيلية، بحيث يظهر أنه نعمة عظمى فائقة على نعم العالمين.

كما يجب علينا التحديث بالنعم الفائضة علينا، بواسطته صلى الله عليه وسلم، وحيث علم ذلك الواجب على الواعظ التالي لقصة مولده صلى الله عليه وسلم، الذي هو سبب وصول النعمة العظمى إلينا، أن يبين أولاً الفضائل المذكورة تفصيلاً، بحيث

يجعلها توطئة لولادة النبي، صلى الله عليه وسلم، ووصوله إلينا، ثم يبين تفصيلاً فضائل الولادة والوصول إلينا.

«انتهى بتصرف».

وذكر وجوهاً كثيرة تثبت أن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم، لاسيما في هذا الزمان، مستحب، ولا ينبغي تركه.

منها إقرار صور الحكام والقضاة على غير الصور السابقة لما في ذلك من مصلحة عامة، لأن فيما مضى الاعتماد على الدين أما في هذا الزمان فلا بد من اتخاذ اجراءات تضمن اثبات مكانتهم في القلوب ليطاعوا، ويعود ذلك على المجتمع بالاطمئنان والمساواة في الحقوق.

كما أقر أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب، معاوية، على ما هو عليه من اتخاذ المواكب والشرطة، عندما قال له:

إنا بجوار عدوٍّ ومحتاجون لمثل هذا. قال له: لا آمرك ولا أنهاك ومعناه أنت أعلم بحالك ـ هذا بعض منها.

وذكر الشيخ أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» بعد أن ذكر أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم في اتباعه والاقتداء بهديه وأطال في هذا الكلام إلى أن قال:

«فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك فقال: دعه فهذا أفضل ما أُنفق فيه الذهب أو كما قال، مع أن مذهبه أن زخرفة المصحف مكروهة».

يستفاد من هذا الكلام أن عمل المولد والاحتفال به لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وحسن القصد في عمله فيه ثواب وأجر عظيم.

وأن كل ما يمكن عمله مما فيه تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم فعلينا أن نفعله.

على أن قراءة المولد درس من دروس العلم لما يحويه من علم التاريخ والسيرة والشمائل، وعلم التاريخ من فروض الكفاية التي يجب على المجتمع ككل معرفته.

وفي تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقرأ في أيام الاحتفال بمولد أمران واجبان على كل فرد بعينه:

الأول: معرفة نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان.

الثاني: معرفة كونه ولد في مكة ونشأ فيها وأُوحي إليه وهاجر إلى المدينة المنورة وتوفي بها، بالإضافة إلى ما يشعر به القارئ والسامع عند ذكر شمائله من القشعريرة والشوق إليه صلى الله عليه وسلم وتجديد المحبة والاخلاص.

والله أعلم.

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الخزرجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ... وبعد:

فقد طالعت بسرور وإعجاب ما كتبه العلامة الحبيب السيد المرحوم حامد بن أبي بكر بن حسين المحضار آل باعلوي في رسالته القيمة (الاحتفال بذكر النعم واجب) حيث وفقه الله تعالى بجمال الأسلوب وغزارة العلم ونور المعرفة إلى تناول الموضوع تناولاً شاملاً مقنعاً مؤيداً بالأدلة الشرعية والمنطقية العقلية التي تجلي النعمة العظمى التي أنعم الله بها على العالمين بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بجانب ما أنعم الله تعالى به على إخوانه من النبيين الكرام كسيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما الصلاة والسلام؛ وتوضح وجوب شكر هذه النعمة والرحمة المحمدية خاصة، وغيرها من النعم عامة امتثالاً لقوله جل شأنه (لئن شكرتم لأزيدنكم) وترديداً لقول الشاعر المحب الكبير:

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا
من العناية ركناً غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

وكيف لا نشكر هذه النعمة ونحمده تعالى على هذه المنة التي امتن بها علينا بقوله تعالى: (لقد مَنّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم) ونشر على رأسه الكريم لواء (وإنك لعلى خلق عظيم) فجزى الله تعالى المؤلف الكريم خير الجزاء وبارك في ذريته وآله الكرام وجزى الله كل خير من يعيد طبع هذا المؤلف القيم لنفع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

وكتبه بيده المحتاج لعفو مولاه
يوسف بن السيد هاشم الرفاعي الحسيني

دبي شوال ١٤١١ هجرية
٣ / ٥/ ١٩٩١ ميلادية

كلمة مستشار ديوان رئيس الدولة
السيد علي الهاشمي

الحمد لله وهو الهادي إلى سواء السبيل وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أهل الصفا والوفاء والتفضيل ومن اتبع هديه وتمسك بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد،

(فالإحتفال بذكر النعم واجب) للعلامة الشيخ الإمام السيد حامد المحضار توفرت على قراءاتها فوجدت علماً غزيراً وتأصيلاً علمياً نادراً، وهي على صغر حجمها إلا أنها تشتمل على زبدة العلم في الموضوع الذي تطرق إليه المؤلف (جزاه الله خير الجزاء). بل ان الناظر في هذه الرسالة يجد الأسلوب العلمي الجاد بعيداً عن الحشو، كما يجد الدليل الصريح بعد ذكر ما للرأي المخالف من حجة.

كما يستفيد العالم والمتعلم من قراءة هذه الرسالة بأسلوب الحوار العلمي المترفع عن التبذل أو السقوط في محاورة المخالف، وفي مفتتح بحثه يقول: (رأيت أن أكتب ما عنَّ لي وأنا أقدرُ للباحثين اجتهادهم ورغبة كل منهم في تأييد ما يَبْدو له أنه الحق، ولا يعتريني شك في أن الموافقين والمخالفين لم يستهدفوا إلا الخير، فرحمة الله على جميعهم ورضي عنهم وأرضاهم فللمصيب منهم أجران، وللمخطئ أجراً) صفحة ٦ من: الاحتفال بذكرا لنعم واجب ـ الطبعة الثانية...

ومما يؤكد للمؤلف مكانته العلمية الرفيعة نجده في ذات المصدر السابق من الصفحة (٢٥) يقول: (ونعني بالمخالف الذي لخلافه وزن واعتبار، وهذا لا يكون إلا للأئمة المجمع على إمامتهم كأحمد والشافعي وأبي حنيفة ومالك، ومن يليهم ويلحق بهم من الأكابر في علمهم وسلوكهم وأدبهم مع الله ومع الناس، وهم القوم لا يشقى من اقتدى بهم).

ويثبت المؤلف في رسالته المذكورة في ص ٣٠ قوله: (ولا تستغرب أيها القارئ الكريم أن ترى بعض أكابر العلماء من الحفاظ المشهورين والنقّاد الباحثين يبسط لسانه على من لم يكن على مذهبه، وعلى من لم يتابعه في فهمه، فليس في هؤلاء وإن جلّت أقدارهم وعظمت أخطارهم أفضل من أبي بكر وعمر وقد فهما خطأ، زجرهما عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد كان أبو بكر رضي الله عنه يُسمي الغناء عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مزمار الشيطان، والنبي شاهد. وهمَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، بل شرع في حصب (أي رمي) الحبشة الذين كانوا يلعبون في مسجد رسول الله على مشهد منه صلى الله عليه وآله وسلم، فصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر وعمر ونهاهما عن التعرض للمغنيات واللاعبين...) ولا يسع الناظر في هذه الرسالة إلا أن يثبت وهو مطمئن النفس بأنها خلاصة فكر، وتعريفات جامعة مانعة لكل المواضيع التي تطرق إليها المؤلف (جزاه الله خيراً).

وأسأل الله عز وجل أن يهيئ لهذه الرسالة العلمية القيمة من يقوم على شرحها وتفصيل ما جاء بها من اجمال اقتضته مكانة المؤلف وإحاطته بعلم الأصول والرواية والدراية، وذلك على غرار ما شرحه السادة العلماء عن الأكابر ممن سبقوهم.

والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

راجي عفو ربه الغني

السيد علي السيد عبد الرحمن الهاشمي الحسني

المستشار بديوان صاحب السمو رئيس الدولة ـ أبوظبي

هو حامد من آل بيت المصطفى
هل بعد ذلك من عظيم فخار

نـورٌ تـفـجّر مـن سـنـا الـمـخـتـار ... مـتـألـقـاً فـي حـامـد الـمـحـضـار
هـو مـن ضـيـاء الـمـصـطـفـى أنـواره ... هـو مـن سـلالـة صـفـوة الأخـيـار
مـن دوحـة الـهـادي الـنـبـي محـمـد ... هـي دوحـة الأمـجـاد والأطـهـار
الـلـه رب الـعـرش أعـلـى قـدرهـم ... فـي مـحـكـم الـتـنـزيـل والأخـبـار
آل الـنـبـي هـمُ الـكـواكـب فـي الـورى ... وهـمُ الـمـنـار لـسـائـر الأعـصـار
هـمْ لـلـبـريـة روحـهـا وحـيـاتـهـا ... هُمْ قـلـبـهـا الـفـيـاض بـالأسـرار
أهـل الـمـحـبـة والـمـودة والـتـقـى ... وهـم الـصـبـاح لـسـائـر الأقـطـار
نـبـع الـمـحـبـيـن الـذيـن بـحـبـهـم ... يـزهـو الـوجـود بـسـائـر الأمـصـار
هـم رحـمـة الـدنـيـا أشـعـة هـديـهـا ... هـم فـجـرهـا فـي حـالـك الأدهـار
بـسـنـاهـم تـحـيـا الـحـيـاة سـعـيـدة ... وبـطـيـبـهـم تـلـقـى شـذا الأزهـار
ومـع الـرجـال الـخـالـديـن ودوحـة ... عـلـويـة قـدسـيـة الأطـهـار
هـو حـامـد مـن آل بـيـت الـمـصـطـفـى ... هـل بـعـد ذلـك مـن عـظـيـم فـخـار
هـذا أبـو بـكـر أبـوه وجـده ... حـقـاً حـسـيـن الـذكـر والـمـحـضـار
بـالأزهـر الـمـعـمـور عـانـق عـلـمـه ... وبـحـضـرمـوت شـع كـالأقـمـار
فـبـحـامـد شـرفـت مـنـاصـب عـدة ... بـوزارة أو قـنـصـل مـخـتـار
مـا ازداد إلا خـدمـة وتـواضـعـاً ... والـزهـد شـيـمـتـه مـدى الأعـمـار
لـم يـحـن جـبـهـتـه لـغـيـر إلـهـه ... بـل عـزه بـالـواحـد الـقـهـار
أمـا الـبـيـان فـكـان فـارس عـصـره ... فـي الـنـثـر فـي خـطـب وفـي الأشـعـار
فـي كـل مـيـدان تـرى أمـجـاده ... فـالـلـه جـلـلـه بـحـسـن وقـار
تـلـقـاه بـحـراً بـالـمـكـارم زاخـراً ... تـلـقـاه شـهـمـاً حـامـيـاً لـذمـار
إن قـال فـالأفـعـال تـصـحـب قـولـه ... صـدق الـوفـاء لـديـه خـيـر شـعـار

أنفاسه ذكر الإله وصمته سبحات نور في سنا الأقطار
قلب تعلق بالإله وحبه ما رام في دنياه من أوطار
ذكر الإله بصحوه وبنومه بنهاره بالليل بالأسحار
إن الذي قسم الحظوظ أرادهم فخلت نفوسهم من الأكدار
وإذا النفوس صفت فقد صافاهم إن الصفاء به الضياء الساري
وإذا الضياء سرى فما ذاقت كرى عين ولا هجعت من الإبصار
ولئن تنم عين فقلب مبصر وبصيرة موارة الأنوار
هذا عطاء الله جل جلاله نعم العطاء من الإله الباري
ورجال أهل الحق ما عرفوا سوى شرع الإله وسنة المختار
فتراهم القرآن في أخلاقهم رهبان ليل كدحهم بنهار
هو طبقوا شرع الإله وهديه وعلى هداهم مسلك المحضار
أبناؤه إخوانه أحبابه كل على نهج الشريعة ساري
ثم الصلاة على النبي محمد والآل والأصحاب والأنصار

تعريف بالإمام العلامة السيد حامد المحضار
مؤلف كتاب الاحتفال بذكر النعم واجب

السيد حامد بن أبي بكر بن حسين المحضار، ولد عام ١٣٢٣ هجرية وتلقى علومه عن علماء عصره، وحفظ القرآن الكريم، وبعد أن حج عام ١٣٤٧ هجرية توجه إلى القاهرة لطلب العلم بالأزهر بالقسم العالي، وكانت صلته العلمية متينة بالشيخ محمود شلتوت، وعاد إلى حضرموت بعد فوزه بالشهادة العالمية وكان في القاهرة عضواً في جمعية الدفاع عن السادة العلويين.

تولى الوزارة في الدولة القعيطية بعد استقالة والده السيد أبي بكر في عهد السطان العالم صالح بن غالب، ثم خاصمه المستر انجرامس المستشار البريطاني، كما خاصم غيره من رجالات حضرموت النابهين، حتى أقيل عن الوزارة.

للسيد حامد أشعار بليغة، وقد صدر له ديوان بعنوان «الفيصليات» ومنها قصيدة عن الوضع الذي وصل بالسلطنة القعيطية بسبب مكر المستشار الانكليزي مطلعها:

وطني وقيتَ مكائد الحساد ونجوت من أحبولة الصياد
وطني بلادي حضرموت تحية من نازح ما انفك في الأصفاد

إلى أن قال:

وأتى انجرامس نائباً عنها فلا أهلاً به من مجرم جلاد
بقدومه في شؤمه وسمومه وضع البلاد عل شفا الأنكاد

وكان انجرامس قد ألف كتابه Arabia & The Esles ذكر فيه السادة والوزراء من آل المحضار ورجالات يافع وغيرهم، ثم نشر ملحقاً لذلك الكتاب، فرد عليه السيد حامد وكشف عن أخطائه وكذبه، وكتب كل ما يتعلق بالسادة آل المحضار والحالة السياسية والاجتماعية التي شاهدها وعاصرها بتفصيل لا نجده في غير ما كتب، وعن حالة حضرموت والقبائل والمساعي التي قام بها جده السيد حسين للتوفيق بينها وتوحيدها رغبة في إيجاد نظام شامل كفيل بخير المستقبل، وكان لذلك صدى لدى الشعب ورغبته في الوحدة، فهو كتاب تاريخ لزمن من تاريخ جنوب الجزيرة.

بعد عزله عن الوزارة سافر إلى أسمرة للتجارة، ثم توجه إلى اليمن بدعوة من الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين وعينه قنصلاً عاماً لليمن في أثيوبيا، وأقام بها بضعة أعوام، ثم توجه بإذن الإمام إلى عدن وأقام بها، فكان يتردد إلى اليمن، ثم توجه إلى جدة بدعوة من الشيخ عبدالله بلخير وزير الاعلام السعودي آنذاك وعينه في الاعلام، وحضر جلسات تأسيس رابطة العالم الإسلامي، واشترك في المفاوضة في شؤونها وعينه الشيخ محمد سرور الصبان أمين عام الرابطة مرشداً، ثم عينه سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام في حكومة المملكة العربية السعودية مديراً لفرع الخطوط الجوية السعودية بعدن.

وعني السيد حامد بأبنائه حتى تخرجوا من الجامعات جعلهم الله خير خلف لخير سلف.

له مؤلفات قيمة منها: «القول القيم فيما أورده ابن تيمية وابن القيم» و«المعتزون بالإثم». و«لمن المال»؟ و«الاحتفال بذكرا لنعم واجب» و«الذكرى النافعة في كلمة جامعة».

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله معيد النعم، ومبيد النقم، الذي علم بالقلم. والصلاة والسلام على أوجه رسول في الأمم، محمد الهادي إلى الطريق الأَمَمْ، وعلى آله وصحبه وسلم.

(أما بعد) فهذه رسالة هي في لطافة حجمها ورشاقة قوامها كأنها خاطرة من الخواطر الأدبية أو مقالة من المقالات الطارئة الوقتية، بيد أنك حين تقرؤها باستيعاب، تحملك على أن تحسب لكاتبها ألف حساب، وتوقن أنك أمام فكر عميق، وسيولة في التحقيق والتدقيق.

ولقد كان لرسالته (لمن المال) ضجة في عالم الفكر أشاد بها كاتبو العصر ورواده، وقادته وقواده، كتبت عنها مجلة الأزهر[1]، وناهيك بها من صحيفة رصينة تتحسس مواقع الكلام، ورشحتها مجلة المسلم المعاصر كمرجع من مراجع الاقتصاد في الإسلام، وها هو ذا الرجل الذي انداحت أمام منطقه جلاميد الباطل، ينحو بمنهجه اللاحب نحواً يقعِّد به في السنة والبدعة قواعد تفصل في النزاع حول ظاهرة سائدة في العالم الإسلامي كله بغير استثناء، سواء على المستوى الرسمي أو على المستوى الشعبي وإني لأحسب أن الكاتب طاقة مشحونة بكثير من الآراء الناضجة والأفكار الفذة سنعرفها أو بعضها في رسائله في «فلسفة الزكاة في الإسلام» ورسالته «عظمة محمد» ورسالته «المعتزون بالإثم» و«الذكرى النافعة في كلمة جامعة» فَمَرْحى له ذائداً عن أفكاره، ومرحى له مناضلاً قوي الشكيمة شديد المراس، ومرحباً به في صفوف المجتهدين والدعاة المفكرين.

وكتبه
محمد نجيب المطيعي
صاحب تكملة المجموع ـ شرح المهذب
القاهرة

---

(١) عدد المحرم سنة ١٣٩٥ هجرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فإن كثيراً من أئمة علماء الإسلام من الحفاظ والفقهاء وأصحاب السير كتبوا عن المولد النبوي وما سبقه من الإرهاصات وما ترتب عليه من البركات مما يهتاج كل قادر على التأسي بهم في هذا الميدان، رجاء وبركة من جعله الله في ولادته ونشأته وطفولته وشبابه وكهولته رحمة للعالمين وقدوة للبررة المقتدين، ونبراساً للمهتدين، ومناراً للعاملين الصالحين، ونعمة لمن قبل هدايته ولم يكن من الضالين. ولقد تبارى كبار الكاتبين وأساطين البلاغة وجهابذة الترسل والصياغة في محاولة إبراز الميلاد في أبهى الصور وبذلوا من جهودهم الجبارة وعبقرياتهم ما يستحقون به الإعجاب، إلا أن المقام في ذاته ذو سعة لم يغطها ولم يبلغ مداها أولئك العباقرة من كل سكب البنان، فصيح البيان، فائض الوجدان. وأين يصلون ممن يقول فيه الله جل وعلا «وما أرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحمة[٢] للعَالَمِين» ولا ريب أن الرحمة العامة للعالمين لا يطاولها مطاول ولا يعادلها شيء ولا تدرك أبعاد عظمتها وإنها لتغري بالتحدث عنها كل سكب اللسان عبقري البيان ولسان حالها يقول لكل متأهل للتحدث عنها:

فقد وجدت مكان القول ذا سعةٍ فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

وبما أن لبعض الباحثين حول مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي والمعراج تحفظات تستحق النظر والاعتبار، والتعليق عليها بما يكشف ضعفها ويثلج صدور محبي الحق، فتطمئن إليه قلوبهم وتثبت عليه أفئدتهم رأيت أن أكتب ما عن لي وأنا أقدر للباحثين اجتهادهم ورغبة كل منهم في تأييد ما يبدو له أنه الحق، ولا يعتريني شك في أن الموافقين والمخالفين لم يستهدفوا إلا الخير، فرحمة الله على جميعهم ورضي عنهم وأرضاهم، فللمصيب منهم أجران وللمخطئ أجر.

وهذا أوان الشروع في بحث مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي وتأييده بالأدلة العقلية والنقلية، والاجتماعية بما لم يسبق له مثيل. أجل إن أدلة المشروعية متوافرة من حيث العموم. ذلك أن ميلاد محمد صلوات الله وسلامه عليه نعمة عظمى على

(٢) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

المسلمين خاصة وعلى البشرية عامة. وكذلك ميلاد أنبياء الله وأصفيائه وحملة رسالاته. ولقد نوه القرآن بميلاد مريم وابنها ونوه بميلاد يحيى بن زكريا صلوات الله عليهم. ولقد احتفل القرآن بميلادهم وبما سبقه من الإرهاصات وبما ترتب عليه من اليمن والبركات. وإليك أيها القارئ بعض الآيات التي احتفلت بميلاد من سبق ذكرهم قال الله عز وجل في سورة آل عمران(٣):

«إذ قالت امْرأةُ عِمْرانَ رَبِّ إني نَذَرتُ لكَ ما فِي بَطْني مُحَرَّراً فَتَقبَّلْ مِني إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ فَلمَّا وَضَعَتْها قالتْ ربِّ إنِّي وضعْتُها أنْثىٰ واللهُ أعْلَمُ بِمَا وضَعَتْ وليْسَ الذَّكَرُ كالأنُثىٰ وإنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وإنيَ أعيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتها مِنَ الشَّيْطان الرَّجيم. فَتَقَبَّلَها ربُّها بقَبُول حَسَن وأنْبَتَها نَبَاتاً حَسناً وكَفَّلَها زكريَّا كلمَا دخَلَ عَلَيْها زكريَّا المِحْرَابَ وجَدَ عِنْدَها رزقاً قالَ يَا مَرْيمُ أنَّى لكِ هَذَا قَالتْ هُوَ مِنْ عند الله. إنَّ الله يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بغَيْر حِساب هُنَالِكَ دعَا زكريَّا ربَّهُ قالَ رَبِّ هبْ لي مِنْ لدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبة إنَّكَ سَميعُ الدُّعَاءِ. فَنَادَتْهُ الملائِكةُ وهُو قائِمٌ يُصَليّ في المِحْرَاب أنَّ الله يُبَشِّرُكَ بيَحْيى مُصدِّقاً بكلِمَةٍ مِنَ الله وسيِّداً وحَصُوراً ونبيّاً مِنَ الصَّالِحينَ قالَ ربِّ أنىَّ يكونُ لي غُلامٌ وقدْ بلَغنِيَ الكِبَرُ وامْرأتِي عَاقرٌ قال كذلِكَ الله يَفْعَلُ مَا يَشاءُ قالَ ربِّ اجْعَلْ لي آيَةً قالَ آيتُكَ ألاَّ تُكلِّمَ النَّاسَ ثلاثة أيَّام إلاَّ رمْزاً. واذكُرْ ربَّكَ كثيراً وسَبِّحْ بالعَشيِّ والإِبْكار. وإذْ قالت الملائِكةُ يَا مَريمُ إنَّ الله اصْطفاكِ وطهَّركِ واصْطفاكِ عَلى نساءِ العَالَمينَ. يا مرْيمُ اقْنتي لِربِّكِ واسْجُدي وارْكَعي مَعَ الرَّاكِعينَ ذَلكَ مِنْ انْباءِ الغيْب نُوحِيهِ إليْكَ وما كنْتَ لديْهِمْ إذْ يُلقُونَ أقلامَهُمْ أيهمْ يَكْفُلُ مريَمَ ومَا كنتَ لدئهمْ إذ يَخْتصِمونَ».

وقال عز وجل في سورة المائدة(٤):

«إذْ قال الله يا عيسى ابنَ مريمَ اذكرْ نعمتي عليك وعلى والِدتكَ إذْ أيَّدْتُكَ برُوح القُدسِ تُكَلِّمُ الناسَ في المهدِ وكهْلاً وإذْ علَّمتُكَ الكتاب والحكمة والتوراةَ والإنجيلَ. وإذْ تخْلقُ من الطين كِهيئةِ الطير بإذني فتنفخُ فِيها فتكونُ طيراً بإذني وتُبرِىءُ الأكْمهَ والأبرصَ بإذني. وإذْ تُخرجُ الموتى بإذني وإذْ كففْتُ بَني إسرائيلَ عَنك إذْ جئتَهمْ بالبيناتِ فقال الذين كفروا منهم إنْ هذا إلا سِحرٌ مبين» إلى آخر الآيات. ولا ريب أن هذا أمر من الله لعيسى بأن يذكر نِعمةً متسلسلة متعاقبة ولم يشترط أن يكون الذكر أو

---

(٣) الآيات ٣٥ إلى ٤٤ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ١١٠ من سورة المائدة.

أن لا يكون في ملأ. وقال عز وجل في شأن زكريا وابنه يحيى «إِذْ نادى ربَّهُ نِداءً خَفيّاً. قال ربِّ إني وهَن العظمُ مِنّي واشْتعلَ الرأسُ شيبا ولمْ أكنْ بدُعائك ربِّ شقياً وإني خفْتُ الموالي مِنْ ورائي وكانَتْ امْرأتي عَاقراً فهبْ لي مِنْ لدُنكَ ولياً يَرثُني ويرثُ منْ آلِ يَعقوبَ واجعلهُ ربِّ رضياً. يا زكريَّا إنا نُبشِّرك بغلام اسْمهُ يحيىَ لمْ نجعلْ لهُ مِنْ قبلُ سَمِيّاً. قالَ ربِّ أنّى يكونُ لي غلامٌ وكانت امرأتي عاقراً وقدْ بلغتُ مِن الكبر عتياً. قال كذلك قال ربكَ هو عليَّ هينٌ وقدْ خلقتُكَ مِنْ قبلُ ولمْ تكُ شيئا قالَ ربِّ اجعلْ لي آيةً قال آيتُكَ أنْ لا تكلم الناسَ ثلاث ليال سَوياً فخرجَ عَلى قومهِ مِنَ المحراب فأوْحى إليهمْ أنْ سبحُوا بُكرةً وعشيّاً. يا يحيى خذِ الكتابَ بقوةِ وأتيناه الحكمَ صَبيا وحنَاناً مِنْ لدُنا وزكاةً وكان تقياً. وبرًّا بوالديه ولمْ يكنْ جبَّاراً عَصِياً. وسلامٌ عليه يوْمَ ولدَ ويومَ يموتُ ويومَ يُبْعَثُ حياً واذكر في الكتاب مريمَ إذْ انتبذتْ مِنْ أهْلها مكاناً شرقياً فاتخذتْ مِنْ دُونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بَشراً سَوياً. قالت إنّي أعوذُ بالرحمن مِنْك إنْ كنت تقياً قال إنما أنا رسولُ ربِّك لأهبَ لك غُلاماً زكياً قالت أنَّى يكونُ لي غلامٌ ولَمْ يمسسْني بشرٌ ولمْ أكُ بغياً قال كذلكِ قال ربُّكِ هو عَلَيَّ هينٌ ولنجعلنه آيةً للناس ورحمةً منا وكانَ أمراً مقضياً فحملتهُ فانتبذت بهِ مكاناً قصِياً فَاجاءَهَا المخاضُ إلى جذْع النَّخْلةِ قالتْ يا ليتني متُّ قبلَ هذا وكنتُ نسياً منْسيا فناداهَا منْ تحتها أنْ لا تحزني قدْ جَعلَ ربُّك تحتك سبريا وهزيي إليكِ بجذع النخلةِ تساقطْ عَليك رطَبا جَنِيًّا فكلي واشربي وقرِّي عيناً فإمَّا تَرينَّ من البشر أحداً فقُولي إني نذرتُ للرحمن صوماً فلنْ أكلم اليوم إنسيا. فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئتِ شيئاً فَريًّا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانتْ أمك بَغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلمُ منْ كان في المهدِ صَبيًّا قال إني عَبدُ الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا. وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا. والسلامُ عليَّ يوْمَ ولدتُ ويومَ أموت ويوم أبعثُ حيا»(٥).

هذه الآيات المحكمات كلها تشع بهجة ومسرة وإكباراً وحفاوة لبشرى ميلاد يحيى بن زكريا، وعيسى بن مريم، ومريم وما أحسب أولئك الين كتبوا قصة ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم إلا سائرين من بعيد أو قريب عل أضواء هه الآيات المحكمات. وأنت ترى أن هذه الآيات البينات القائلة: «وإذ قالت الملائكة يا مريمُ إن الله اصطفاك وطهركِ واصطفاكِ على نساءِ العالمين يا مريمُ اقنتي لربك واسجدي واركعي مع

---

(٥) الآيات ٣ ـ ٣٣ من سورة مريم.

الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقونَ أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون[٦]، على كفالتها لعظيم منزلتها رجاء يمنها وبركتها حتى بإلقاء الأقلام يستهمون بها على الكفالة أي يتقرعون، وما كانت تعرف القرعة إلا بالسهام ونحوها. أما القرعة بالأقلام فإنما كانت لأن المقترع عليه جد عظيم ولأن المقترعين كانوا من الصفوة المختارة من ذوي الحكمة الربانية وهم حملة الأقلام وحملة الرسالات وعلى رأسهم وفي طليعتهم إمامهم ونبيهم زكريا صلوات الله وسلامه عليه ولما ألقوا أقلامهم وألقى زكريا قلمه كتب الله الفوز لزكريا فكفل مريم وإن في ذكر الاختصام والاقتراع بالأقلام على كفالة مريم لتنويهاً بعيد الخطر عظيم الأثر بميلاد مريم. وذلك هو ما تصوره الآيات بأبلغ العبارات وقال عز شأنه في شأن عيسى بن مريم إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمهُ المسيحُ عيسى بنُ مريمَ وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويكلمُ الناسَ في المهدِ وكهلاً ومن الصَّالحينَ. قالت ربِّ أنى يكونُ لي ولدٌ ولم يمسسني بشر قال كذلكِ اللهُ يخلقُ ما يَشاءُ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كنْ فيكونُ ويعلمه الكتابَ والحكمة والتوراة والإنجيل ورسُولاً إلى بين إسرائيل أنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ من ربِّكُمْ أني أخلقُ لكمْ من الطين كهيئة الطير فأنفخُ فيه فيكونُ طَيراً بإذن الله وأبرىءُ الأكْمه والأبرصَ وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلونَ ومَا تدخرونَ في بُيوتكمْ إنَّ في ذلكَ لآية لكمْ إنْ كنتمْ مؤمنينَ ومُصدقاً لما بَينَ يَدي من التوراةِ ولأحل لكمْ بعضَ الي حُرم عَلَيْكمْ[٧].

هذه الآيات المحكمات طافحة بالإشادة الحافلة بميلاد المسيح وأمه ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهم وهي بعد جامعة لكثير من مزايا المسيح التي منَّ الله بها عليه ساعة الميلاد وهي في مجموعها شاهدة بل داعية إلى الاحتفال بهذا الحدث العظيم الكريم الذي يحتفل به القرآن على ذلك النحو من القصص الرائع الآخذ بمجامع القلوب. وهي بأسلوبها المثير ومحتواها القيم الداعي إلى الاهتمام بما اشتملت عليه من معجزات باهرة تستهوي النظار وتقتضيهم الإجلال والإكبار. وإن كل هذه الآيات وما ينحو نحوها تنويه بالميلاد واحتفاء بيمنه وبركاته ودعوة صريحة فصيحة قوية إلى حد الإغراء بالاعتناء بالنظر في أمره وتعميم نشره حيث يحسن التنويه به في كل ملأ. جدير بأن يتجاوب مع هذه الدعوة المعربة عن الثناء البليغ على صاحب الميلاد، وهي إيذان

---

(٦) الآيات ٤٢ _ ٤٣ _ ٤٤ من سورة آل عمران.
(٧) الآيات ٤٥ إلى ٥٠ من سورة آل عمران.

من الله بإسباغ نعمته عليه وبه على خلقه وهو ما تشير إليه آية «يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا».

وما كان ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقه من الإرهاصات، وما قارنه وترتب عليه من البركات، وما صاحبه من المعجزات، ما كان بأقل شأناً من ميلاد عيسى وأمه ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهم أجمعين. ولقد جاء في البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح الشيء الكثير من آثار يمنه صلى الله عليه وسلم على أبويه قبل حمله مما يدل على إعداد الله جل شأنه لهما لإنجاب سيد البشر وخاتم الرسل بخاتمة الرسالات وأكملها ولسنا بحاجة إلى سرد ما جاء من ذلك كله ولقد تحدث هو صلى الله عليه وسلم عنها وعن بعضها ونرى أن نشير إلى معجزة شق صدره الشريف على ذلك النحو الذي وصفه هو صلى الله عليه وسلم بأبلغ العبارات وألطف الإشارات وأروع الكلمات التي لا يأتي مثلها من مثله صلى الله عليه وسلم إلا ليروي وليتحدث به من هو أهل للحديث عنه كلما سنحت الفرصة استذكاراً للنعمة وتعليماً لمن لم يكن يعلم من الناشئة والعامة وتعظيماً للمنعم ولقد عمد كتاب قصة المولد النبوي إلى فحوى هذه الأحاديث الصحيحة الواردة في الصحيحين وغيرهما من الصحاح وساروا على أضواء آيات ميلاد عيسى وأمه ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهم فوضعوا من فحواها قصة ميلاد محمد في أسلوب نافع للعامة يسهل حفظه ويؤثر وقعه وأحسب آخر من تحدث عن الميلاد بإجادة فيما علمت هو شاعر الجيل بل شاعر الأجيال أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته العصماء (ولد الهدى) ولقد أجاد بلَّ الله ثراه كل الإجادة ووفق كل التوفيق في إبراز ملامح من جلال وجمال صورة الميلاد النبوي ووضعها في الإطار الذي ترى فيه أشعة العظمة المحمدية منقطعة النظير في جميع أبعادها القريبة والشاسعة وفي رؤاها الذي يملأ النفوس إعجاباً وتقديراً وهيبة.

وإنك لتراها من حيث الموضوع في صورة جد مألوفة في كل أمة وفي كل قرية وفي كل بيت. إلا أن شوقي رحمه الله حلق بصورة ميلاد محمد في كيفها فوق الصور المألوفة فأنت تراه يقول ولد الهدى ولم يقل ولد محمد وإن كان ميلاد محمد هو ميلاد الهدى ولكن الهدى أكثر اتصالاً وأشد تعلقاً بالأذهان وأعظم وضوحاً في نظر الموافق والمخالف وأعظم شيوعاً وإشراقاً في المعنى المرموق فحسن أن يقول شوقي: ولد الهدى ثم قال: فالكائنات ضياء نعم الكائنات كل الكائنات ليس مكة فحسب وليست الجزيرة العربية فحسب بل قال فالكائنات ضياء والكائنات في هذا المقام من الكلمات

الجامعة الشاعرة الساحرة وهي بضمها إلى كلمة ولد الهدى تقع في المحل الذي لا يمكن أو يكاد يستحيل أن يحل محلها غيرها فإذا ما ولد الهدى فما على كل الكائنات إلا أن تكون ضياء وإلا أن يتزخرف مكانها ويبتسم زمانها ويتباذخ كيانها ثم قال أمير الشعراء: وفم الزمان تبسُّم وسناء

وبضم هذه الكلمة البليغة الجامعة إلى الكلمتين السابقتين من قصيدة شوقي نجد الصورة الكاملة للبيان البليغ للمعنى الفذ الرائع لميلاد محمد الذي هو ميلاد الهدى:

ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وسناء

ثم استمر أمير الشعراء في رسم الصورة مما يقع بعد الميلاد من أثر الفرح العظيم كما هو معتاد ومألوف في كل بيت، ومن المعتاد أن يقوم بإعلان نبأ ميلاد الغر الميامين الحافون بهم من ذويهم ومن المتصلين بهم ولكن شوقي لم ير في أهل مكة ولا في أهل الجزيرة كلها ولا في أهل الأرض من هو أهل للقيام بإعلان النبأ العظيم السار نبأ ميلاد محمد ولكنه رأى أن جبريل روح القدس وإخوانه ملائكة الملأ الأعلا هم المؤهلون للقيام بإعلان النبأ العظيم السار نبأ ميلاد محمد الذي هو بشرى للدين وبشرى للدنيا فقال رحمه الله:

الروح الملأ الملائك حوله

للدين والدنيا به بشراء

واعتادت الأمم أن تزدهي قراها وتزهو عواصمها إذا ما ولد من سراتها من تشرئب إليه الأعناق وترمقه العيون لما عسى أن يكون له من شأن في غدها المؤمل. ولما كان ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم أجلّ من أن يكون الزهو به والازدهار به مقصوراً على بلد ما أو أمة ما مهما عظم شأنها وعلا بنيانها وسمقت عزتها وعلت كلمتها لأنه رحمة للعالمين زهت بمولده الأرض كل الأرض وزهى بمولده عرش الرحمن وازدهت به حظيرة القدس وتباذخ به المنتهى والسدرة العصماء ومن ثم قال أمير الشعراء:

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي

والمنتهى والسدرة العصماء

فما أعظم هذه الصورة وما أعظم تماسكها وتكاملها في جلال وجمال هما قيد

الطرف والعقل والخيال ثم استمر أمير الشعراء في الحديث عن آثار الفرح العظيم بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم فقال:

وحديقة الفرقان ضاحكة الربى
بالترجمان شذية غناء

والفرقان هو القرآن أو هو العلم من حيث هو ولم يصب أحد من هذه الحديقة من المعرفة بها والتعريف بها ما أصاب محمد صلى الله عليه وسلم مما أرضاها فقرت به عينها حتى غدت تلك الحديقة ضاحكة الربى شذية غناء بترجمانها العظيم الذي عرفها وعرف بها وأهداها للعقل النير والوجدان الحي غضة طرية شذية فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ثم وثب شوقي فحلق في رسم صورة تسجيل الميلاد النبوي بأسمى بيان فقال بلّ الله ثراه:

والوحي يقطرُ سلسلاً من سلسل
واللوح والقلم البديع رواء

وبهذه الصورة سجل شوقي ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي الذي يقطر سلسلا من سلسل واللوح والقلم البديع رواء ولقد عرف بين الناس أنهم يسجلون ميلاد السراة فمنهم من يسجل تاريخ ميلاده بنادي قومه أو في ديوانه أو في أحجار قصره أو قبره أو في صحف المراسم أو في مكاتب البلديات كما هو معروف لهذا العهد ولما سبق. ولكن شوقي لم يرض أن يسجل ميلاد محمد في شيء من ذلك كله وإنما يسجل في اللوح المحفوظ وبالوحي يقطر سلسلاً من سلسل وما أعرف صورة رسمت لتسجيل الميلاد ميلاد محمد مثل هذه الصورة في تكاملها وتعاليها وانفرادها بالتحليق بكل حركة من حركات الميلاد وإذا ما وضع الناظر هذه الصورة أمامه وأمعن في ملامحها أدرك فيها من الجلال والجمال والدقة والانسجام ما يملأ نفسه إعجاباً وطرباً ولا يفوتني أن أسجل هنا أن شوقي وإن كان مسبوقاً في بعض ما تعاطاه من حيث الموضوع فإنه قد نسج وحده في تماسك صورته ووحدة خطوطها بحيث لا يرى فيه اعوج ولا نشاز وصورة كهذه لا يضعها إلا عالم ذرب اللسان ساحرا لبيان جبار الخيال جياش العاطفة ذواق حكيم مؤمن بعظمة صاحب الصورة صلوات الله وسلامه عليه ولقد كان شوقي في ذلك المستوى الرفيع ومنه استطاع أن يأتي بهذه المعجزة البيانية الخالدة. وبعد فإنا نكتفي بما رويناه من أبيات قصيدة ولد الهدى وأبياتها كلها غرر عامرة مشحونة بطاقات الجلال والجمال والحيوية والشعر والسحر والرسم الدقيق للمعنى الأنيق في أصدق

الملامح وأنصع الخطوط ولنعد إلى تقرير الدليل بل الأدلة على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي ولنبدأ بهذا الدليل المنطقي القرآني الذي لا يطاق رده فنقول: لقد أمر الله جل شأنه عباده بذكر نعمه العامة والخاصة عليهم في آيات محكمات من كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا ريب أن محمداً صلى الله عليه وسلم في ميلاده وفي جميع أحواله نعمة من نعم الله العامة الدائمة النفع وقد ثبت في البخاري في الجزء الثالث بالصفحة السادسة عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال عند ذكر «ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً»(٨): «والله هم كفار قريش ومحمد نعمة الله» انتهى وإذا كان محمد نعمة فميلاده صلى الله عليه وسلم نعمة ويكون نظم الدليل على النحو الآتي: ميلاد محمد نعمة من الله عامة وكل نعمة من الله عامة مأمور بذكرها والاحتفال بها، فتكون النتيجة المنطقية الواجبة القبول ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم مأمور بذكره والاحتفال به وهذا دليل لا يطيق أحد رده إلا إذا كان المعارض ممن باتوا على مراحل من عقولهم.

ولقد جاء الأمر بذكر نعمة الله في كتاب الله مكرراً واقرأ قوله تعالى «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخْرجْ قومك من الظلمات إلى النور وذكِّرهم بأيام الله»(٩) «واتلُ عليهم نبأ إبراهيم»(١٠). والمراد هو ذكرهم وذكر ما أنعم الله به عليهم وذكر ما جاءوا به من الهدى والنور والتشريع والحكم والمواعظ والمعجزات مما يلفت القلوب والعقول إلى فضل الله على عباده ليلتفتوا بذلك إلى حق الله عليهم لعلهم يرجعون إليه، يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويدعونه رغبا ورهبا. وفي ذلك أنباء الرسل منذ ولادتهم إلى أن يتوفاهم الله في جميع أحوالهم هدى للناس يثبت الله به القلوب، وينير العقول، ويسمو بالأرواح، ويصقل البصائر، ويزكي المشاعر، ويسلس قياد الأنفس الأبية الجامحة فترد إلى طاعة الله وإلى الوله بحبه والعكوف عليه، والتمسك به، والتعلق بمراضيه، والنفرة من غضبه، وكل ذلك وأكثر منه مما تفيده الذكرى والذكير بنعم الله والاحتفال بها، ومن ثم حسنت دعوة الناس إليهم وتوعيتهم بمراشدها وتحريضهم على اتباع أصحابها ومحاكاة مثلها السامية، وإنما يكون حَدْو النفوس وتشويقها إلى المقاصد السنية والغايات الشريفة والمقامات المنيفة بذكر مَنْ ومَا به تكون الأسوة الحسنة وليس ثمة أقوى تأثيراً في الحس من ذكر سيرة من عرفه الناس وأحبوه وانتصبت صورته بأذهانهم بمحل الإجلال والإكبار. فإذا سمعوا أخباره؛ وتليت عليهم أنباؤه، وجليت لهم حيثيات

(٨) الآية ٢٨ من سورة إبراهيم.
(٩) الآية ٥ من سورة إبراهيم.
(١٠) الآيات ١٦، ٤١، ٥١، ٥٤، ٥٦ من سورة مريم.

العظمة من سيرته ومواطن الإعجاب من أقواله وأفعاله، تطلعوا إلى الاقتداء به والمحاكاة له برغبة ملحة، وأشواق حادية، وكم أصاب المسلمين من الخسران المبين حينما طرحوا ذكر أمجادهم وسيرهم الحافلة ولا حول ولا قوة إلا بالله. والغريب أنهم طرحوا تعاطي ذكر الأمجاد والقرآن الكريم يكرر الإلفات إلى سير الأكابر ولقد عنى بذكرهم وبهم من يوم أن كانوا أجنة في بطون الأرحام إلى أن توفاهم الله.

ولقد قصصنا في هذه الرسالة من أنبائهم أو أنباء بعضهم ما يهدي الله به الضال ويرشد الحائر ويثبت الراشدين وفي أنباء الرسل يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلوات الله عليه وعلى آله «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما تُثبتُ به فؤادك»[١١]، ونسأل الله أن يثبتنا على ما يحبه منا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قد يعترض معترض أو يقول قائل إنه ليس فيما ذكرتموه سابقاً دليل ناصع على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي على النحو المعروف ونحن نقول لهذا المعترض: إن هذا الاعتراض لا يصلح رداً لمشروعية الاحتفال بنعم الله ومنها ميلاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وميلاد محمد من أعظم نعم الله ويومُها من أعظم أيام الله، ولم يشترط الشارع أن يكون الاحتفال بذكر أيام الله ونعمه في غير اجتماع ولم يشترط أن يكون في غير يوم معين ولا ريب أن أنسب الأيام لذكر نعم الله هي الأيام التي حصلت فيها النعم، وإن كان ذكرها يحسن في كل وقت على أننا نستطيع أن نقدم دليلاً عل مشروعية الاحتفال بالنعمة في اليوم الذي حصلت فيه النعمة وهو ما جاء به البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا هذا يوم عظيم نجَّى الله فيه موسى وقومه. وأغرق فرعون وقومه فصام موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن أحق بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر أصحابه بصيامه»[١٣] انتهى.

---

(١١) الآية ٦٩ من سورة الشعراء.

(١٢) الآية ١٢٠ من سورة هود.

(١٣) الذي هو في الصحيحين «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا؟ قالوا: يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى فقال: أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه» أما غرق فرعون فتلك رواية أحمد في مسنده وفيها «وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى شكراً لله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى وبصوم هذا اليوم الخ» وفيه حبيب بن عبدالله الأزدي ولم يرو عنه غير ابنه.

ولدينا دليل آخر مدني أنصاري نقله إمام السنة العظيم أحمد بن حنبل وحكاه عنه شيخ الإسلام ابن تيمية قال أحمد رضي الله عنه: «نبئت أن الأنصار قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: لو نظرنا يوماً فاجتمعنا فذكرنا هذا الأمر الذي أنعم الله به علينا فقالوا: يوم السبت ثم قالوا: لا نجامع اليهود في يومهم قالوا: الأحد قالوا: لا نجامع النصارى في يومهم قالوا: فيوم العَروبة وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العَروبة فاجتمعوا في بيت أبي أمامة سعد بن زرارة فذبحت لهم شاة فكفتهم» انتهى من الاقتضاء لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وبيدنا نص من الصحيحين في التغني بيوم من أيام التاريخ، وكان التغني به في حجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مناسبة العيد الأكبر والشيء بالشيء يذكر وذلك اليوم التاريخي هو يوم بُعاث. ولقد حاول الصديق والفاروق رضي الله عنهما الاعتراض على القينات اللاتي اجتمعن ليوم عيدهن وتناشدن وغنين بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث ورد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصديق والفاروق رضوان الله عليهما. ردهما عن التعرض للقينات وأمرهما بتركهن يحتفلن بالعيد بالأسلوب الذي يعرفنه ويحسنه، وإليك ما روي مسلم في صحيحة بصفحة ٢١ من الجزء الثالث والبخاري في الجزء الأول بصفحة ١٧٠ واللفظ لمسلم عن عائشة قالت: «دخل على أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث. قالت: وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وذلك في يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»[١٤] وروى البخاري ومسلم بنفس السند قال «وفيه جاريتان تلعبان بالدف» وفي رواية أخرى «إن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام أعياد» أي أيام نعم وقالت عائشة رضي الله عنها «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية فاقدروا قدر الجارية العربية الحديثة السن» وفي صحيح مسلم أيضاً قالت عائشة رضي الله عنها: «لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسترني بردائه لكي أنظر إليهم ثم يقوم من

---

(١٤) أي يوم عيدنا ويوم نعمة أنعم الله بها علينا فلنحتفل به.

أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية العربية الحديثة السن حريصة على اللهو» وفي صحيح مسلم وفي صحيح البخاري بصفحة مائة وتسع عشرة من الجزء الأول عن عائشة قالت: «دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال أبمزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإما قال لي تشتهين تنظرين فقلت نعم فأقامني وراءه، خدي على خده وهو يقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم قال: فاذهبي» وفي صحيح مسلم عن عطاء: فرس أو حبش يعني اللاعبون وقال ابن عينية: بل حبش يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحرابهم إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: دعهم يا عمر انتهى.

وبعد فإنك ترى أيها القارئ الكريم في تلك الاحتفالات التي ذكرناها آنفاً ترى الاحتفال بالعبادة وهو الصيام في يوم معين ومكرر وهو يوم عاشوراء وترى الاحتفال بالذبح والاطعام في يوم معين وهو احتفال الأنصار في المدينة وترى الاحتفال بالتغني بالأشعار وباللعب بالحراب وبالدرق وبضرب الدفوف وكلها تروى عن الصفوة المختارة عن نبي الهدى والناقلون عنه هم الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام أحمد بن حنبل وهم الكرام الكاتبون وناهيك بهم. وترى النبي صلى الله عليه وسلم يقر الاحتفال بتلك الأيام كأعياد ولم يقل: إن اتخاذ أيام نعم الله على عباده أعياداً كفر ولا بدعة ولا ضلالة. وترى أبا بكر يسمى إلغاء مزمار الشيطان وترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزجر أبا بكر وعمر على اعتراضهما على الغاء وعلى اللعب بالحراب وبالدفوف وعلى الاحتفال بتلك الأيام لأنه لم يشتمل على كفر ولا على ضلالة وتراه صلى الله عليه وسلم يصرف الصديق والفاروق عن رأيهما بما يفهم منه أنهما أخطآ رضوان الله عليهما في تسمية الغناء البريء مزمار الشيطان كما قال أبو بكر وأخطأ عمر رضي الله عنه في فهمه أن اللعب البريء مما يعاقب عليه بحصب اللاعبين أي رميهم بالحصباء، ولقد يقع لكثير من الأكابر الصالحين من أخطاء التزمت والتعمق والغلو في الدين المنهي عنه مثل ما وقع للصديق والفاروق رضي الله عنهما، وما كانا إلا مجتهدين مخلصين في اعتراضهما ولهما أجر المجتهد المخطئ. ولعل مما نحن فيه من التدليل على مشروعية

واستحسان الاحتفال بنعم الله ومنها ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ما ذكره الإمام مسلم في صحيحه بالصفحة المائة والثمانية والستين من قوله صلى الله عليه وآله وسلم جواباً على الذي سأله عن صيام يوم الاثنين: «ذلك يوم ولدت فيه وأنزل عليّ فيه» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (ذلك يوم) تعظيم وتنويه بذلك اليوم وما ذاك إلا لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ولد فيه. وفي قوله (وأنزل عليّ فيه) تأكيد لعظمة ذلك اليوم يوم ميلاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو اليوم الذي اختاره الله زمناً وميقاتاً لإنزال وحيه على خاتم أنبيائه كما اختاره ميقاتاً لميلاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا في نظرنا نص أو قريب من النص على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي.

وقد جاء هذا النص بالأسلوب البلاغي من حيث القوة والايجاز والاشارة بقوله (ذلك يوم ولدتُ فيه وأنزل عليّ فيه) ومعلوم أن السؤال إنما كان عن الصيام في ذلك اليوم فذكر صلى الله عليه وآله وسلم ميلاده في ذلك اليوم فحدث عنه لفضله وعلو شأنه، وأكده بأنه اليوم الذي أنزل عليه فيه، وإن يوماً ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم ونزل فيه الوحي على محمد ليوم جد عظيم، وهو جدير بالاحتفال والتكريم.

ولا ريب أن الاحتفال بذكر النعم من الأمور الاجتماعية من حيث الهيئة والكيف وهو أي الاحتفال متطور آخذ بسنة المحيط والأحوال القائمة. وهذا طبعا في غير ما ورد به النص. أما ما ورد النص عل كيفيته وزمانه ومكانه فإنه لا يكون إلا على النحو الذي عينه الشارع، أما ما عدا ما ورد بتعيينه النص من ذكرا لنعم والاحتفال بها فإنها تذكر على كل حال، والاحتفال بها في كل هيئاته وملابساته تابع ومتأثر بالأحوال الاجتماعية القائمة، ودونك الحج مثلاً فإنه من حيث هو طواف وسعي ووقوف بعرفة وما يلي ذلك من المناسك فإنه من الأمور التي لا سبيل إلى تكييفها بغير تلك الكيفية. أما كيف نظل في عرفات في خيمة أم تحت شجرة أم في السيارة أم على ظهر جمل؟ أو كيف نقرأ أفي المصاحف أم لا نقرأ إلا ما نحفظه، وهل نذكر الله مجتمعين أو على انفراد، وهل ندعو الله بما تعن به الخواطر أم ندعوه بما كتبه وحرره فقهاء الأدعية من المأثور وغيره، وكذلك الشأن في غير الزكاة من أعمال التبرر وكذلك الشأن في إعداد القوة التي أمرنا الله بإعدادها فهل لا يكون ذلك إلا بما كان معروفاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونبتعد عن إعداد الطائرات والدبابات والصواريخ ونحوها وهكذا في كل ما نتعاطاه من المبرات ونلابسه من الأحوال الاجتماعية ولا أظن أحداً

يقول بهذا. والدلالات كثيرة في مثل ما نحن بصدده ويجاب عنها بأن الأمر في الشؤون الاجتماعية التي أباحتها الشريعة أو دعت إليها ولم تحدد لها كيفية بعينها ولا زمناً بعينه ولا مكاناً بعينه متروك لنا اختيار الكيفية التي تناسب مجتمعنا مالم يتعارض ما نختاره مع أصل من أصول الشريعة المجمع عليها. ولا يغرب عن الأذهان أن الأدلة الشرعية من الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مقبول عند جميع المسلمين، بل واجب القبول. وكذلك ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا محل إجماع لا نزاع فيه إلا أن ما تدل عليه آية ما أو حديث ما قد لا يكون الدلالة على ذلك المدلول محل إجماع على أنه المدلول الوحيد لتلك الآية أو ذلك الحديث، فما اختلف العلماء على تفسيره ومعناه من آيات القرآن أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون فهم أحد العلماء فيه وإن كان إماماً عظيماً حجة على غيره من العلماء الأعلام والأئمة الهداة الذين فهموا خلاف ما فهمه، والخلاف هنا في المدلول عليه لا في الدليل. والقاعدة الأصولية تقول (كل ما دخله الاحتمال لا يصلح للاستدلال) أي على المخالف في الدلالة فما جاء إذن من الأدلة غير مجمع على دلالته على مدلول واحد لا يلزم المخالف الإذعان له، ونعني بالمخالف الذي لخلافه وزن واعتبار. وهذا لا يكون إلا للأئمة المجمع على إمامتهم كأحمد والشافعي وأبي حنيفة ومالك ومن يليهم ويلحق بهم من الأكابر في علمهم وسلوكهم وأدبهم مع الله ومع الناس، وهم القوم لا يشقى من اقتدى بهم.

وإذا وصلنا من بحث مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي إلى هنا عرض لي احتجاج المعترضين على الاحتفال بالمولد بأنه لم يكن معروفاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما لم يكن معروفاً على عهده صلى الله عليه وآله وسلم فهو بدعة، والنبي يقول: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» فرأيت أنه يحسن بنا استعراض هذا الدليل فأقول: إن محور هذا الدليل هو قولهم: إن الاحتفال بدعة ونحن نسألهم هل يعنون به البدعة الحسنة أم البدعة السيئة، ولا شك أنهم يريدون البدعة السيئة، على أن الاحتفال بالمولد النبوي إنما يكون بذكر الله والصلاة على رسول الله وذكر سيرته وفضله وبإطعام الطعام وإفشاء السلام والتقاء الإخوان على رياض جنة الذكر، ولم يذكروا حجتهم بأن هذا من البدع السيئة، وإن قالوا كون الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن معروفاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كافياً لاعتباره بدعة وكل بدعة ضلالة، وقالوا: إنهم ينكرون تقسيم البدعة إلى سيئة وحسنة، إن قالوا ذلك فنحن

نقول لهم: إن تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة أمر لا بد منه وإلا كذبنا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهيهات هيهات ـ فذلك ما لا سبيل إليه ودونه خرط القتاد. وإليك الدليل وهو أن حديث «كل بدعة ضلالة» معارض أو مخصص بحديث أوضح منه وأكثر طرقاً وهو حديث «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقض من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»(١٥) وهذا الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحة في الجزء الثامن بالصفحة الواحدة والستين من حديث جرير بن عبدالله وروى مسلم في صيحيه بالصفحة الثانية والستين من الجزء الثامن عن جرير بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يسن عبد سنة صالحة يعمل بها بعده» ثم ذكر تمام الحديث في الصفحة نفسها وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» انتهى.

ولا ريب أن مضاعفة الأجور العظيمة إنما كانت للاتباع في الابتداع الحسن الذي هو الاستنان الحسن أيضاً كما أن مضاعفة الإثم العظيم إنما كانت للاتباع في الابتداع السيء. وبعد فإن حديث «من سن في الإسلام سنة حسنة» أوضح من حديث كل بدعة ضلالة إذ حديث كل بدعة ضلالة مجمل مطلق وحديث من سن سنة حسنة مفصل مقيد والمجمل يحمل على المفصل والمطلق على المقيد ومعنى هذا أن حديث كل بدعة ضلالة لا يتمشى إلا على أضواء حديث «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء» ولا شك أن الحديث نص على أن الابتداع أو الاستنان يكون حسناً ويكون سيئاً وبذلك جعل الشارع أمر العباد دائراً بين ما هو اتباع محض وبين ما هو ابتداع فالاتباع ما وقع من أعمال العباد موافقاً لما جاءت به الأحكام المنصوص عليها وكل ذلك خير بلا نزاع والابتداع هو ما سنه العباد من سنن الخير أو سنن الشر وليس كل ذلك خيراً بل بعضه

(١٥) حديث جرير أوله «جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى رنى ذلك في وجهه قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده الحديث».

خير فما كان حسناً وهو السنة الحسنة أو البدعة الحسنة فهو خير وهو ما كان له أصل في الشرع يضرب إليه من بعيد أو من قريب وليس معارضاً ولا ناقضاً لمجمع عليه من قريب أو بعيد.

وبعد فهذا الحديث حديث «من سن سنة حسنة» الخ قاض على كل ما يقوله خصوم البدعة الحسنة وهو يدك دكاً قولهم إن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة وقولهم لو كان خيراً لسبقنا إليه الصحابة رضوان الله عليهم.

ذلك أن هذا الحديث يشرع ابتداع الخير ويسنه ويمنع أن يكون عمل الخير حكراً على أهل قرن بعينه فالخير مشروع ابتداعه واستنانه لكل من وفقه الله ولعل من أجلّ وأسمى فضائل الإسلام وكمال تشريعه أنه جعل باب ابتداع الخير وسنه مفتوحاً لهذه الأمة إلى يوم القيامة يتنافس فيه المتنافسون بأفضل الاستنان وأحسن الإبداع ولا ريب أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة حسنة وسنة حسنة وفق الله من سنها وعمل بها وجعل له أجرها ومثل أجر من عمل بها إلى يوم القيامة ولقد يسألنا مستبهد أو متعنت عما إذا كان أهل القرن الأول سنوا شيئاً لم يكن معروفاً في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنقول لهم: نعم قد سن أهل القرن الأول وسن من بعدهم من التابعين لهم بإحسان كثيراً من سنن الخير، كلٌّ سن ما قدر ويسر له مما ظنه حسناً بحسب اجتهاده وهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يرون جمع القرآن بدعة سيئة فتخوفوا جمعه وتحاموه حتى ألح الخوف بعمر رضي الله عنه من ضياع القرآن فقال لأبي بكر: أرى أن تأمر بجمع القرآن فأنكر أبو بكر على عمر رأيه في جمع القرآن، ولكن عمر لم يزل بأبي بكر حتى شرح الله صدر أبي بكر لما شرح له صدر عمر رضي الله عنهما، ثم دعا أبو بكر زيد بن ثابت يأمره بجمع القرآن وإليك ما رواه البخاري من ذلك بصفحة ٢٤٣ الجزء الرابع حدثنا محمد بن عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبدالله بن السباق عن زيد بن ثابت قال: بعث إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بقراء القرآن في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإني أرى أن نأمر بجمع القرآن. قلت كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك رأي عمر. قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما كلفني من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال أبو بكر: هو خير فلم يزل يحث مراجعتي حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر ورأيت في ذلك رأياً فتتبعت القرآن أجمعه من العسب والرقاع واللخاف وصدور الرجال فوجدت آخر سورة براءة التوبة: لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها مع خزيمة بن ثابت فألحقتها في سورتها وكانت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله عز وجل، ثم عند عمر حياته، حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر، قال محمد بن عبيدالله: اللحاف يعني الخزف انتهى من البخاري وأنت ترى أن عمر وأبا بكر وزيد بن ثابت يتعاطون أمراً لم يكن معروفاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بل قد أنكره الصديق وأنكره زيد بن ثابت حتى شرح الله له صدريهما فوافقا عمر على رأيه فكان عملهم في جمع القرآن بدعة حسنة، ولم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل إنها كانت بعده حيناً ما في نظر أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت عملاً غير مشروع. وهو ما يسميه الثائرون على الاحتفال بالمولد النبوي ضلالة لأنه بدعة لم تكن معروفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان جمع القرآن في نظر أبي بكر وزيد بن ثابت بدعة غير معروفة، ثم شرح الله له صدر الصديق وصدر زيد فوافقا عمر على رأيه فصار ما كان بدعة سيئة أمراً حسناً مشروعاً ولم يكن تشريع جمع القرآن إلا عن اجتهاد واستحسان، وإنه والله لعمل صالح وخير عظيم وفق الله العاملين عليه وإن لم يكن معروفاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال أبو بكر وزيد لعمر رضي الله عنهم أجمعين، ولا تستغرب أيها القارئ الكريم أن ترى بعض أكابر العلماء من الحفاظ المشهورين والنقاد الباحثين يبسط لسانه على من لم يكن على مذهبه، وعلى من لم يتابعه في فهمه، فليس في هؤلاء وإن جلت أقدارهم وعظمت أخطارهم أفضل من أبي بكر وعمر وقد فهما خطأ زجرهما عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان أبو بكر رضي الله عنه يسمي الغناء عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مزمار الشيطان والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد وهم عمر بل شرع في حصب أي رمي الحبشة الذين كانوا يلعبون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى مشهد منه صلى الله عليه وآله وسلم فضرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر وعمر ونهاهم عن التعرض للمغنيات واللاعبين وقد بسطنا هذا فيما سبق ولنعد إلى ذكر أمثلة مما سنه أهل القرن الأول من سنن الخير التي تابعهم في الأخذ بها من لحق بهم من أمة محمد صلى الله عليه وآله

وسلم، ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الاقتضاء كثيراً من عمل القرون الأولى ومن بعدهم مما لم يكن معروفاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقره شيخ الإسلام ولم يشنع على القائلين به لمكانتهم، فمنهم الإمام أحمد وابن عباس وعمر وغيرهم ومن ذلك ما نقله في الاقتضاء من قول الإمام أحمد باستحباب التعريف في غير عرفة. وفي غير مسجد معين ومنها ما نقله عن الإمام أحمد عن جواز التمسح بالرمانة والمنبر النبوي ومنها ما نقله عن الصحابة لعهد عثمان وهو جعلهم للجمعة أذانين ولم يكن لها على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أذان واحد ومنها ما ذكره عن أهل الشام وأقره من استحبابه الصلاة حيث صلى عمر رضي الله عنه في المسجد الأقصى، ومنها قوله بتفضيل الناحية التي بناها عمر رضي الله عنه في المسجد الأقصى على سائر النواحي من المسجد نفسه ولم يرد نص في شيء من هذا كله. وإنما كان استحساناً واجتهاداً عمل به الأخيار وتابعهم عليه الأبرار ولم يقل أحد: لو كان هذا خيراً لسبقهم إليه المهاجرون والأنصار ومن هذا القبيل ما ذكرناه سابقاً ما نقله شيخ الإسلام وأقره من توسل عائشة الصديقة بنت الصديق بكشف قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستقائها بذلك ونزول الغيث عندئذ وليس ثمة نص على مشروعيته وهو عمل صالح، وكل هذا يوجد في كتاب الاقتضاء[١٦] لشيخ الإسلام رحمه الله، ونسأل الله الهداية وحسن الظن بأئمة المسلمين. ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري بالجزء الأول صفحة ٣٠٤ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها كانت تسبح الضحى والنبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يسبحها وأنها ما رأت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسبحها، ومن ذلك ما رواه البخاري بالجزء الأول صفحة ٣٠٥ عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبدالله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة وإذا الناس يصلون في المسجد صلاة الضحى فسألناه عنها فقال: بدعة. انتهى.

وأنت ترى عائشة أم المؤمنين العالمة تقول: إنها تصلي الضحى وما كان النبي يصليها، وابن عمر يقول: إنها بدعة ولكن أحداً لم يقل إنها بدعة ضلالة ليس إلا، وأنها في النار كما يقول معارضوا الاحتفال بمولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ومن ثم تعرف يقيناً أنه ليس كل بدعة ضلالة كما يزعمون وأن السنة الحسنة المرجو ثوابها تسمى بدعة، كيف لا وقد سماها ابن عمر بدعة كما سبق قريباً نقله وناهيك به.

وسمى عمر رضي الله عنه السنة الحسنة بدعة وإليك ما ذكره الحافظ ابن حجر في

---

(١٦) هو اقتضاء الصراط المستقيم.

الفتح صفحة مائتين وخمسة وخمسين من الجزء الثاني قال: وقال عبيد بن عبدالله بن عمر عن ثابت عن أنس رضي الله عنه كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى فإما تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها إن أحببتهم أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال: يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فقال: إني أحبها فقال: حبك إياها أدخلك الجنة» انتهى من البخاري.

وجاء في الفتح صفحة ٣٩٤ روى ابن أبي شيبة عن طريق ابن عمر قال: «الأذان الأول يوم الجمعة بدعة» فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار، ويحتمل أنه لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل ما لم يكن في زمنه يسمى بدعة، لكن منها ما يكون حسناً ومنها ما يكون بخلاف ذلك.

وقال في صفحة ٣٩٥ ففي تفسير جويبر عن الضحاك من زيادة الراوي عن برد بن سنان عن مكحول عن معاذ «أن عمر أمر مؤذنين أن يؤذنا للناس يوم الجمعة خارجاً من المسجد حتى يسمع الناس وأمر أن يؤذن بين يديه كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر ثم قال عمر: نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين» انتهى.

في هذا الحديث ابتداع يتنازع فيه أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينتهي إليه صلى الله عليه وسلم بشكوى من المأمومين بالإمام المبتدع قراءة سورة يجعلها لازمة في كل ركعة، وهذا مما لم يشرعه صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك التفت إلى الشكوى وسأل المشكو عما منه الشكوى وقال له: ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فلم يقل المشكو: إنها سنة نبوية ولكنه اعترف بأنه هو الذي سنها لنفسه لأنه يحب سورة الإخلاص فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «حبك إياها أدخلك الجنة» ولم يقل له: إن عملك بدعة، وإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. فهذا ابتداع عملي يتنازع فيه الصحابة ويرفع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقف صلى الله عليه وآله وسلم أول الأمر إلى جانب الشاكين فلما سمع كلام المشكو قال: «حبك إياها أدخلك الجنة».

فهذه بدعة حسنة أدخلت صاحبها الجنة وهي بدعة في الدين في الصلاة وبالقرآن فما يقوله المتهوسون المعارضون بعد هذا الحديث الذي طفح بتأييد الابتداع الحسن ولو كان في الصلاة وبالقرآن وعلى خلاف فقه جماعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما هو إلا الغثاء القذر الممجوج فلا نلتفت إليه.

دعوا كل قول عند قول محمد
فعند طلوع الشمس ينكسف النجم

ويؤيد ما ذهبنا إليه بقوة ما صرح به الإمام الحافظ العسقلاني في صفحة ٣٩٤ من الفتح تعليقاً على قول ابن عمر: إن الأذان الأول بدعة قال الحافظ: يحتمل أنه قال مستنكراً له ويحتمل أنه يريد أنه لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل ما لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة، لكن منها ما يكون حسناً ومنها ما يكون بخلاف ذلك وهذا نص من الحافظ على قطعه بأن من البدع ما هو حسن ومنها ما هو بخلاف ذلك، وناهيك بالحافظ في معرفته بالحديث ومعانيه وفهم كلام الصحابة وأساليبهم في الحديث عن الفقه والتشريع. ولقد قطع عمر بن الخطاب فيما رواه عنه الحافظ في صفحة ٣٩٥ وهو يتحدث عن إحداث الأذان الأول بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال: نحن ابتدعناه فهل يستطيع متحذلق من المتحذلقين بأن عمر يريد بما ابتدعوه أنه ضلالة وأنها في النار أم أنه يريد أنهم ابتدعوا ابتداعاً حسناً وهو من الهدى بسبيل واضح وليس من الضلالة في شيء؟ وبهذا كله بل ببعضه يتعين ويجب تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة وهو ما نص عليه حديثه صلى الله عليه وآله وسلم الذي سبق ذكره وهو في صحيح مسلم ونعني الحديث القائل من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ولقد ذهب إلى تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة جمهور الأئمة وفي طليعتهم الشافعي بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو المشرع الأول قسمها إلى حسنة وسيئة وعليه مشى أصحابه ومنهم عمر وابنه وسائرهم ولم يرو عن أحد منهم خلاف ذلك ومن شذ عن هؤلاء شذ في النار، ونعوذ بالله من موجبات سوء المصير.

وبعد فإن ما ذكرناه من عمل القرون الأولى مما لم يكن مشروعاً ولا معروفاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصبح سنناً حسنة عليها عمل المسلمين كما هو الحال في الاحتفال بالمولد النبوي فإنه لم يكن معروفاً على عهد النبي صلى الله عليه

وآله وسلم وابتدعه محبوا محمد صلى الله عليه وسلم فعمل به السواد الأعظم من الأئمة والأمة، والواقع أن المولد من حيث هو التقاء على ذكر الله وعلى الصلاة على رسول الله ومن حيث هو ذكرى لسيرته صلى الله عليه وآله وسلم ومن حيث ما يصرف في إبانه وينفق من الأموال لإطعام الطعام وتقديمه للمحتاجين مشروع منصوص على مشروعيته جملة وتفصيلاً. وإنما الكيفية لم ينص عليها لأنها متروكة لنا إذ كل مشروع شرعية عامة لم تعين كيفية أدائه ولا وقته ولا نوعه يكون تعيين الكيفية والوقت إلينا. ومما شرع كذلك ذكر نعم الله وذكر الله وتوقير رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتفال به في كل مناسبة وبكل كيفية تناسب أوضاعنا وأحوالنا الاجتماعية شريطة ألا تصادم نصاً شرعياً يحظرها حظراً مجمعاً عليه.

والاحتفال بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو توقير له صلى الله عليه وسلم وهو شكر للمنعم به علينا وهو الله جل شأنه ونحن مأمورون به وبتوقير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالاحتفال به على كل حال ولم يرد نص يمنع من تعاطي الاحتفال به، والاحتفالات متطورة تبعاً للأحوال الاجتماعية. وإذا نحن استعرضنا المجتمعات الإسلامية منذ القرن الأول وجدنا أنه ما من قرن إلا وتجدد فيه أسلوب من أساليب الخير والبر والتكريم اقتضته الحضارة المتطورة ولو أننا حظرنا التطور الاجتماعي وألزمنا أنفسنا التقيد بما كان عليه القرن الأول في هيئاته وأسلوب حياته ومعاملاته لعظم خطبنا ولتغير كل شيء مما نحن فيه من جميع ما نتعاطى في مرافق حياتنا فكل ما حولنا من كيفيات الحياة الرسمية وغير الرسمية لم يكن معروفاً في القرن الأول بكيفه وأسلوبه الذي هو عليه الآن فالحكومات الإسلامية كل الحكومات أصبحت تكيف أعمالها ودوائرها وهيئاتها على غير الوضع الذي كان عليه الناس من قبل في العهد النبوي. وما تتعاطاه الحكومات الإسلامية من كيفية القضاء وتصريف الأمور وما تتعاطاه من كيفية تكريم رجالها وأبنائها البررة وزعمائها الأمجاد من رجالات السلطان ورجال العلم والأعمال لم يكن معهوداً من قبل بكيفياته المعروفة الآن فما كانت ثمة رتب عسكرية ولا جوائز علمية ولا كانت الحفلات تقام للمبرزين في علم ولا لإنشاء المؤسسات وافتتاحها وما كان يشرع تكريم رئيس دولة ولا أحد نوابه ورجاله بأن يحتفل بدعوته لقص شريط يرمز به إلى بداية عمل نافع في مشروع نافع من المشروعات التي تقام لمصلحة الأمة ولا كان يحتفل الناس ولا كانت تحتفل الحكومات بإقامة أقواس النصر لزيارة رؤساء الدول بعضهم لبعض، وما كان يحتفل بإطلاق إحدى وعشرين طلقة مدفعية أو أكثر تحية لرئيس الدولة إذا ما زار دولة أخرى ولا كانت تعزف الموسيقى

سلام الدولة الزائرة أو المزورة تكريماً للزائر والمزار، ولا كانت توجه الجماهير لخير أو شر بواسطة أجهزة الإعلام من إذاعة وصحافة وتلفزة ولا كانت المساجد تكرم من قبل بما تكرم به اليوم من الزخرفة والتشييد ولا كانت تفرش بما تفرش به اليوم وما كانت تضاء بما تضاء به اليوم ولا كان أكابر العهد الأول وأخياره يعيشون كما يعيش اليوم أكابرنا وأخيارنا وكل ذلك في ذاته وصفاته بدع لم تكن معروفة في القرن الأول فما قال أحد إن كل الذي ذكرناه مما عليه اليوم حكومتنا وشعوبنا لم يقل أحد إنه بدع وضلالات يجب أطراحها والابتعاد عنها ولو شئنا لقلنا بتأويل فاسد واعتبار معتبط: إنها ضلالات وبدع لم تكن معروفة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول المعترضون على الاحتفال لتوقير محمد صلى الله عليه وسلم بذكر ميلاده وسيرته وفضله وفضل الله عليه وفضل الله به على خلقه.

وأنت ترى جميع رؤساء الدول الإسلامية وغيرهم يبادل بعضهم بعضاً التهاني بعيد ميلاد كل منهم كما يهنئ بعضهم بعضاً بالأيام التي اتخذوها أعياداً وطنية، ولم يقل أحد من علمائهم: إنهم قد ضلوا فلماذا يكون تكريم يوم ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ضلالاً مبيناً.

أما إثابة المحتفل بالميلاد أو المحتفل بغيره من صالح الأعمال فمرجعها إلى نية المحتفل إذ الأعمال بالنيات فما قصد به الله فالله يثيب عليه وما كان المقصود به غير الله فلا ثواب عليه فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، وإلا فإلى ما هاجر إليه. ولقد يقول قائل: إن مورد حديث من سن سنة حسنة الخ يشير إلى خصوص التصدق بالمال وجوابنا عليه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهو ما عليه الأصوليون ليس غير. واللفظ عام في استننان سنن الخير فقصره على مورد النص تحكم يرفضه عموم اللفظ الذي استهدف به الشارع صلى الله عليه وآله وسلم جميع أنواع استننان الخير ولو أنه صلى الله عليه وسلم أراد مورد النص فحسب لنص عليه وليس بمعيبه صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفصح العرب أن يشير إلى التخصيص وعليه فإن المعتمد هو عموم اللفظ لا خصوص السبب.

ولا بأس بتسمية الحسنة بدعة كما سماها عبدالله بن عمر. ونقل ذلك عنه البخاري وقد تقدم للنقل مشيراً إلى محله من الصحيح ورقم الصفحة.

وتسمى البدعة السيئة سنة وكذلك سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا

تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل» رواه مسلم في الجزء الخامس صفحة ١٠٧.

ومشروعية الاحتفال بالإسراء كمشروعية الاحتفال بالمولد النبوي فإنه من أعظم أيام الله بالنسبة إلى المسلمين خاصة وإلى البشرية عامة ففيه ضروب من نعم الله وتعاليمه الكثيرة، والشاسعة الآماد والأبعاد، فإنه المعراج الأول إلى السماء بل إلى السموات، وفيه اللفت إلى عظمة محمد صلى الله عليه وسلم وعظمة أمته ولئن كانت وسائلها كلها من أمر الله فإنها توحي إلى أن صعوده صلى الله عليه وسلم كان بأمر الله للاعجاز ولغاية خاصة واتجاه خاص ولميزة فذة يمكن أن يكون في حالات أخرى داعية إلى محاولة لصعود ما إلى أجواء السموات بما يمنح الله عباده ويلهمهم من العلوم المادية التي يمكن للبشر الوصول بها إلى ما شاء الله بما يليق بالمادة وإمكانياتها في حدود البشرية وبإلهام الباري عز وجل. أما عروج محمد صلى الله عليه وسلم فإنه شيء آخر لا يمكن أن تصنع آلاته المصانع وكذلك بساط الريح الذي سخره الله لسليمان لا ينبغي أن يكون لأحد من بعده على نحو ما كان له. أما الطيران بالآلة فإنه من واد آخر ونحن نجل أهله العاملين عليه والمحققين له حتى أصبح مركباً عاماً يتعاطاه الناس في كل مكان إلا أنه مما يمكن تعلمه والإتيان بمثله. وإنما المعجز هو ما لا يمكن الإتيان بمثله. وفي الإسراء بعد ذلك مما ألقى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التشريع وفيه المعجزة المفحمة وهي إخباره صلى الله عليه وآله وسلم أهل مكة بما رآه في تلك الليلة من أوصاف المسجد الأقصى وهو الذي لم يعرفه من قبل وإخباره عما رآه في الطريق حتى عيرهم التي كانوا يرقبون وصولها وما لبثوا أن صعقوا عندما صح كل ما أخبرهم به صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأمور مضافاً إليها تشريع الصلاة خمساً بعد أن فرضت خمسين صلاة كل ذلك يقتضينا أن نقوم لليلتها إجلالاً وإكباراً، فكل نعمة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم نعمة على أمته واجبة الذكر والاحتفال وهأنذا قاص فيما يلي حديث الإسراء وهو من مرويات البخاري ومسلم مع اختلاف يسير واللفظ لمسلم قال رضي الله عنه: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة التي تربط به الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء جبريل عليه السلام بإناء

من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل له من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أو قد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم إذ هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل: ورفعناه مكاناً علياً ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بهٰرون صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك. فإني بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً قال: أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى

عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر حسنات فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد رجعت حتى استحييت منه.

حدثني عبدالله بن هاشم العبدي حدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البُناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طَسْت من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس: وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. وروى مسلم في صحيحه بالصفحة المائة والثمان وصفحة مائة وتسع من الجزء الأول قال: حدثني زهير بن حرب حدثنا حُجَين بن المثنى حدثنا عبد العزيز وهو ابن أبي سلمة عن عبدالله بن الفضل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه وما يسألونني عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب شبهاً به عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام» انتهى حديث الإسراء من صحيح الإمام مسلم.

وهو حديث عظيم حقيق بالاهتمام بالدراسة ومن أهم ما جاء فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه كلما وصل إلى سماء من السموات العلى رحب به من فيها من

الأنبياء ودعا له بخير وترى أنه لما حانت الصلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأنبياء وترى المراجعة بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ولا ريب أن دعاء الأنبياء للنبي صلوات الله عليهم أجمعين كان بعد وفاة الداعين وإن صلاتهم كانت بعد وفاتهم.

فصل

وأما القول بأنه لم يرد نص صحيح بتعيين ليلة الإسراء فإنه لا يمنع الاحتفال بها في أي ليلة لا سيما إذا ما ورد أثر يشير إليها إذا المراد هو الاحتفال بنعمة من نعم الله. ولا يخفى أن الاحتفال بالهجرة في غرة محرم لا يوافق يومها ولا ليلتها وإنما اختير ذلك اليوم مبدأ للهجرة فكان الاحتفال بها فيه.

وإذ قد وصلنا إلى هنا سائرين على قبس من الضوء الوهاج من أنوار حبيبنا ونبينا محمد صلوات الله عليه وعلى آله نرى أنه يحسن أن نشير فيما يلي على أنوار بعض ما ورد في القرآن الكريم مما حصل لغيره صلى الله عليه وآله وسلم من الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم أجمعين من المعجزات والكرامات مما يجري بجري مجرى ما كنا بصدده فمن تلك المواهب اللدنية ما كانت بدايتها رؤيا في المنام ولكنها لم تكن أضغاث أحلام بل كانت بشرى استتبعها التحقيق واليمن والبركة ومن أروع ما ذكره القرآن من تلك المواهب وكل ما في القرآن رائع عظيم ما حكاه عن رؤيا إبراهيم أن يذبح ابنه الذي يحبه حباً جماً فهبّ إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لتصديق الرؤيا هبة لم تعرف البشرية مثلها فقال لابنه الذي طالما رغب إلى الله في أن يهبه إياه إذ قال: رب هب لي من الصالحين فبشره الله بغلام حليم فلما بلغ معه السعي وتجلى له في أبهى وأحلى وأروع ما تتجلى فيه مخائل الفتوة واليمن والبركة والشمم وفضائل الشيم، رأى في المنام أنه يذبح ابنه فقال لابنه يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى فما تردد الابن في الاستجابة لرغبة أبيه فقال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فتناول إبراهيم ابنه ليذبحه فتله للجبين أي وضعه على هيئة ما يمراد ذبحه غير متريث ولا متردد فما أروع إبراهيم في إقدامه على ذبح ابنه، وما أروع ابنه في طاعته لأبيه، وهي طاعة لربه فلما أسلما: إبراهيم وابنه أسلم إبراهيم عاطفة الأبوة الراحمة وشفقتها الحانية وحبها الحادب على ابنه الحبيب الذي يحبه حباً جماً وتقدم ليذبحه راضياً مطمئناً وأسلم ابنه نفسه غير هياب ولا وجل ولكن طائعاً صابراً شاكراً وبينما إبراهيم يتعاطى أو يحاول قطع وريد ابنه ناداه الله يا إبراهيم

أن قد صدقت الرؤيا، أي بالشروع في التنفيذ وإن لهذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم ولا أدري أيهما إبراهيم أم ابنه كان أعظم فناء في الله واستغراقاً في ابتغاء مراضيه، ولا ريب أن كلاً منهما بلغ الغاية ونسى نفسه، وغرق في بحر حب الله، ومن ثم هان عليهما الأمر وكذلك حال أهل الفناء في محبة الله، والاستغراق في مراضيه، لا يحزنهم ولا يلوي بهم عن مراد الله منهم أو فيهم الجزع وهم بربهم فرحون، فرحاً لا تشوبه الشوائب، ولا تؤثر فيه المخاوف ولا الرغائب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. ولا ريب أن هذا الفضل مسبب في ظاهر الأمر عن احتمال الابتلاء العظيم المتمثل في الامتحان بذبح الابن المحبوب المؤمل وإنه والله لامتحان جد رهيب والاستجابة له أكثر رهبة والتصميم على تنفيذه تصميماً كأنه التنفيذ أعظم وأعظم وبذلك استحق إبراهيم صلوات الله عليه أن يكون خليل الرحمن وأن يختصه الله جل شأنه ويكرمه بأن لم يبعث بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته وجعل في ذريته النبوة والكتاب وفضلهم على العالمين وجعل تفضيله إياهم منة على خلقه أتبعها اليمن والبركة وبذلك اكتال إبراهيم بالمكيال الأوفى، لأنه الذي وفىَّ وإبراهيم هو الذي أوذي في الله وآذى، وحطم الأصنام فجعلها جذاذاً، وإبراهيم هو الذي بدل الله لكرامته عليه طبيعة النار، عندما ألقى فيها فجعلها عليه برداً وسلاماً وهي مؤتلفة جماحة حاطمة.
وإبراهيم هو الذي قال الله عنه وعن ذريته الخالدة الماجدة (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) وقال عنهم في سورة الأنعام: «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات مَنْ نشاءُ إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا. ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌّ من الصالحين. وإسماعيل واليَسَع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. ذلك هدي الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحط عنهم ما كانوا يعملون. أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلْنَا بها قوماً لَيْسُوا بها بكافرين. أولئك الذين هَدىَ الله فبهُداهُمُ اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين»(١٧)
ولا ريب أن مثل هذا الفضل المتواتر وهذا التكريم المتتابع وهذا التنويه المتصاعد من قبل الله ولي النعم على إبراهيم وآل إبراهيم لم يعرف مثله على غير بيت آل إبراهيم

(١٧) الآيات من ٨٣ إلى ٩٠ من سورة الأنعام.

وذلك فضل الله الذي يمن ولا يمن عليه وهو الذي يخلق ما يشاء ويختار، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، سبحانه لا رادَّ لفضله.

ومن أنوار الخليل صلوات الله عليه وسلامه ننتقل إلى نور حفيده يوسف صلى الله عليهم وآلهم أجمعين ولقد ذكر الله عز وجل فضله على يوسف مبتدئاً بالرؤيا الصادقة التي قصها الله تعالى أحسن القصص في أحسن الأنباء وأيمنها على يوسف وعلى أمم الهدى وبها أتم الله نعمته عل يوسف كما أتممها على أبويه إبراهيم وإسحاق من قبل فحباه النبوة والملك. وإن في قصة يوسف من العبر والأمثال والتشريع ما يعض عليه الفقيه بالنواجذ، وفيها من مطالع المنة ما يغري بالطمع في فضل الله وفيها ما يشهد بصدق ما يروى من الكرامات التي وقعت وتقع للمصطفين الأخيار، وناهيك بما في قول يعقوب لذويه: «إني لأجد ريح يوسف» وكان على مئات الأميال منه فاكتشفه بالشم من مكان بعيد وذلك لا يتأتى في العادة ولا يجوز إلا بالاختصاص الرباني الخارق للعادة وإن فيما جاء عن مماسَّة قميص يوسف لأبيه الخارقة لا مرية فيها إذ شفت تلك المماسة يعقوب من العمى وأعادت إليه بصره الذي فقده منذ زمن بعيد وفي قصة يوسف في التشريع جوازاً وحكاية جواز السجود لغير الله في قوله تعالى «فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال: ادخلوا مصر إن شاء الله آمين ورفع أبويه على الغرش وخروا له سجداً»(١٨) ولا ريب أن هذا السجود سجود تعظيم وتكريم وليس سجود تأليه وعبادة فإن الصفوة من آل إبراهيم لم يؤلهوا غير الله الحق المبين. ولقد أسجد الله من قبل ملائكته لآدم إذ أمرهم بقوله جل شأنه «اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس»(١٩) وهذا السجود أيضاً ليس سجود تأليه وعبادة لآدم وفي قصة يوسف إمتحانه بالسجن وكان في امتحانه بيان لفضله العظيم في علم الرؤيا فيما حكاه الله عنه وعن صاحبه اللذين دخلا معه السجن فقال له أحدهما: «إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين»(٢٠) فقال لهما يوسف في اعتزاز قوي بما منحه الله من العلم «لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما، ذلكما مما علمني ربي، إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون. واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن

---

(١٨) من الآيتين ٩٩، ١٠٠ من سورة يوسف.
(١٩) من الآية ٣٤ من سورة البقرة.
(٢٠) الآية ٣٦ من سورة يوسف.

أكثر الناس لا يشكرون[٢١] وما أروع قول يوسف وهو يتحدث عن علمه وأنه جاءه من قبل الله لا طّراحه ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون، وما أعظم تسامي يوسف في قوله: واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون، ولعل يوسف يشير بأسلوبه الدقيق الحصيف إلى أن فضل الله على الناس اختصاصه جل شأنه آل إبراهيم بتفضيله إياهم على الناس وجعلهم أئمة هدى للعالمين وآتاهم الكتاب والحكمة وجعلهم ملوكاً وبتلك الخصائص كانوا أفضل الخلق. ولنعد إلى الحديث عن تفسير يوسف رؤيا صاحبيه في السجن وكيف انتهز يوسف فرصة وجودهما معه في السجن وحاجتهما إليه لدعوتهما إلى الله، إلى توحيده بالإلهية وإفراده بالربوبية فقال لهما: «يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟! ما تعبودن من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[٢٢].

وبعد هذه الدعوة الصادقة إلى الله الدالة على عظمة يوسف وعظيم اهتمامه بالهداية إلى الحق شأن آبائه العلية الأبرار بعد هذه الدعوة أفتى صاحبيه فقال «يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان. وقال للذي ظن أنه ناج منهما: اذكرني عند ربك، فأنساه الشيطان ذكر ربه»[٢٣]. ونلاحظ هنا أن هذه الآية أطلقت ثلاث مرات صفة الرب على الملك في قولها: «اذكرني عند ربك» وقولها «فأنساه الشيطان ذكر ربه» وقولها «ارجع إلى ربك» وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع نسبلات خضر وأخر يابسات. يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون. قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين»[٢٤] وهنا اذكر صاحب يوسف فقال: «أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون» أي أرسلوني إلى يوسف فأرسلوه فلما دخل عليه قال ليوسف «أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون»[٢٥] فأفتاه يوسف

---

(٢١) الآيتان ٣٧، ٣٨ من سورة يوسف.
(٢٢) الآيتان ٣٩، ٤٠ من سورة يوسف.
(٢٣) الآيتان ٤١، ٤٢ من سورة يوسف.
(٢٤) الآيتان ٤٣، ٤٤ من سورة يوسف.
(٢٥) الآيات من ٤٥ إلى ٥٤ من سورة يوسف.

قائلاً «تزرعون سبع سنين دأبًا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال: «ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. وما ابرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم» وإن في هاتين الآيتين الكريمتين من الهدى والفرقان بين حالتي امرأة العزيز ما هو جدير بالتأمل فانظر إليها في حالها الأول في تقولها وافترائها على يوسف ثم انظر إليها في حاله الثانية وهي تزكيه وتعظم مكانته في الصدق والعفاف ما أجدر المقام بالبيان والشرح بل التشريح النفسي إلا أن هذا ليس من غرضنا ولنتركه لمن هو أقدر عليه منا ولنعد إلى يوسف حيث طلبه الملك مرة أخرى. وقال: «ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين قال: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم، ولا ريب أن الحفظ والعلم هما المؤهلان لإسناد خزائن الأرض إلى من تتوفران فيه وحبذا تنويه يوسف بمكانته من قبل في العلم حينما سئل عن تعبيرالرؤيا، ولقد كان تنويهه بما منحه الله من الفضل المؤهل لأسمى المناصب تنويهاً قوياً متسماً بالثقة بالنفس والاعتداد بما حباه الله وكان يوسف ناظراً إلى مشروعية التحدث بنعم الله وإنه لعظيم جداً ألا يفضل المنعم عليه عن ذكر ولي النعم، وذكر النعم نفسها، والاعتداد بها والتنويه بمكانتها كما فعل يوسف صلوات الله عليه. ولا ريب أن يوسف قد قد بلغ بالشكر الغاية في أسلوب قوي رائع وما أعظم ما توجه به يوسف إلى الله من الشكر وما عدد من نعم الله عليه وما التمس من الله أن يختم به حياته وكل ذلك تمليه علينا الآية الكريمة «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين»(٢٦).

وإنه لمن المعروف عن جيرة وادي النيل التحدث بالنعم، والتوفيق لجوامع الكلم ولهم في الثناء على من وما أحبوا أسلوب حلو طلى، وإن لابس في بعض الأحيان الغلو في لغة العامة منهم وليس بعيداً ما جاء عن النسوة اللاتي قلن في امرأة العزيز إنها

(٢٦) الآية ١٠١ من سورة يوسف.

«تراود فتاها عن نفسه» «فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت (ليوسف) اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه (وأذهلهن عن أنفسهن وعن السكاكين التي بأيديهن فطفقن يقطعن أيديهن، وهن ذاهلات بالنظر في الحسن اليوسفي فاستغرقن فيه فقلن «ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم. قالت فذلكُنَّ الذي لمتُنَّ فيه» ولم نسمع في البلاد العربية من يصف الجميل بأنه ملاك أو ملك ـ وإذا وجد ـ فإنه آخذ عنهن وإن فرض وقوعه ابتداء فإنه جد قليل أما في مصر فإن نعت الجميل بأنه ملك أو ملاك شائع ذائع. وهنا نقف عن متابعة ما في القصة اليوسفية من الروائع والبدائع وكل ما في القرآن رائع بديع. أجل إنه معين الحسن الذي لا ينضب:

يزيدُكَ حسنُـــــه حسنــــاً إذا ما زدته نَظَــــــــرا

* * *

لا يرجع الطرف عنـــه حين ينظـرُه حتى يعـــود إليه الطـرف مشتاقا

* * *

وبودي أن أتابع الكلام في جوانب القصة لكن المجال جد فسيح، وأنا كسيح. ومثلي لا يستطيع الوصول حتى إلى محل الإشارة والرمز من جلال المقام وجماله. و«لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفدَ البحر قبل أن تنفدَ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مَدَداً».

وأسأل الله أن ييسر من هو أقدر مني للحديث عن مواطن التشريع في هذه السورة، وعن وجوه الجمال والجلال، وعن ألوان البيان الآخذ بمجامع القلوب، وعن أسرار الاستخراج ووجوه الاستنباط والتأصيل والتفريع. أما أنا فلست إلا طفيليّ على هذه المائدة، على أني عظيم الرجاء في العائدة، من بركة ما قصدته من طَرْق هذا الموضوع على قلة الزاد، وكبوة الزناد، ومن أنوار آيات «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»(٢٧) صلوات الله وسلامه عليهم.

ننتقل إلى أنوار آيات داود وسليمان وفيهما من الإعجاز ما يبهر العقول ولننظر إلى قوله تعالى: «ولقد آتينا داود وسليمان عِلماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سُلَيمَان دَاوُدَ وقال يا أيها الناس عُلِّمْنا مَنْطق الطير وأوتينا من

---

(٢٧) حديث صحيح أخرجه البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه والترمذي وأحمد في مسنده.

كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين»[٢٨] نعم إنه فضل العلم الذي يتحقق به الشرف والسعادة والمجادة، والحسنى وزيادة في الدنيا والآخرة. والعلم هو الحكمة «ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»[٢٩] وإن هذا لهو الفضل المبين. والعلم هو الذي تحققت به المعجزات، وهو كنوز من الأسرار يقذفها الله في قلوب أنبيائه وأصفيائه فيسخر لهم به تسخيراً روحياً التصرف والتأثير في الأشياء بدون واسطة. وذلك هو ما يكون معجزة الأنبياء وكرامة للأولياء، ومن معجزات العلم ما يأتي عن طريق الخضوع لنواميس طبيعية، وتتولد المعجزة العلمية الصناعية، من تأثير مقارنة وتركيب المواد التي فطر الله فيها ما يؤهلها، ليتكون منها منفردة أو مع غيرها من الطاقة ما يذهل الألباب، ويستحق الإعجاب. وهذه هي معجزات العلم الصناعية، ونحن نشاهد منها هذه الأيام البدائع والروائع وسبحان الذي أعطى كلَّ شيء خَلْقَهُ ثم هدى.

وعرْضنا هنا هو استعراض وعرض بعض ما أتى داود وسليمان من المعجزات الروحية، والمعجزات الروحية أو المعجزات الوهبية اللدنية تقع بتسخير ما لم يكن ليكون لولا التسخير الإلهي، سواء كان ذلك بإيجاد ما لم يكن أو بإعدام ما هو كائن بلا واسطة. وإنما بمطلق التسخير الرباني. ومن هذا علم داود وسليمان منطق الطير وهو مورد النص في قول سليمان وعلمنا منطق الطير وهذا العلم لا يكون إلا بالخارق المعجز لأنه بغير واسطة أما منطق غير الطير فيدل على علم سليمان به قوله تعالى فيما حكاه عن قول النملة حينما رأس سليمان وجنوده وهم يُوزَعون «يا أيها النمل ادْخُلُوا مَسَاكِنَكم لا يَحْطِمَنَّكُمْ سليمانُ وجُنُودهُ وهُمْ لا يَشْعُرون. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا»[٣٠] وهذا يدل على معرفته بمنطق النمل دون واسطة، وفي إحضار الذي عنده علم من الكتاب عرش بلقيس من اليمن إلى الشام في لمحة عين ما يدل على أن الإعجاز يتعاطاه غير الأنبياء من أتباعهم المصطفين الأخيار، وفيه ما يدل على أنه لا يشترط أن يكون متعاطي الإعجاز نبياً.

ونحن نرى أن سليمان صلوات الله عليه كان خليقاً بإحضار عرش بلقيس من اليمن إلى الشام كما أحضره الذي عنده علم من الكتاب أو بأكثر سرعة إلا أنه لما كان من المراد بيان أن غير الأنبياء يقع لهم الإتيان بالمعجزات بتأهيل الله لهم ولذلك طلب

---

(٢٨) الآيتان ١٥، ١٦ من سورة النحل.
(٢٩) من الآية ٢٦٩ من سورة البقرة.
(٣٠) الآيتان ١٨، ١٩ من سورة النمل.

سليمان من فئته من الجن والإنس أن يتولوا القيام بمهمة الإعجاز بإحضار عرش بلقيس من مكان بعيد بتلك السرعة المذهلة، والحكمة بالغة كان إحضار العرش بواسطة آصف بن برخيا وهو الذي عنده علم من الكتاب وهو من الإنس كيلا يقال: إن الذي أحضر العرش عفريت من الجن وإن الإعجاز إنما يتسنى للجن لما امتازوا به من القوة والقدرة على السرعة وعمل آصف الذي عنده علم من الكتاب يقطع خصوم المعجزات المنسوبة لغير الأنبياء من صالحي الأمة وهي بالنسبة إلى الأنبياء تسمى معجزة وبالنسبة إلى الأولياء تسمى كرامة وهو اصطلاح اتفق عليه للتفريق بين ما يقع للأنبياء وبين ما يقع للأولياء.

ولقد أعطي داود وسليمان صلوات الله عليهما من المواهب ما لم يسخر مثله مجموعاً لأحد سواهما، وفي ذلك يقول الله جل شأنه «ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطيْرَ وألَنَّا لَهُ الحديدَ أن اعمَلْ سَابغَاتٍ وقَدِّرْ في السَّرْد واعمَلوا صَالِحاً إنِّي بما تَعْمَلُونَ بصير ولِسُلَيْمَان الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وأسَلْنَا لَهُ عيْنَ الْقِطْر. ومِنَ الْجِنِّ مَنْ يعْمَلُ بَيْنَ يَدْيْهِ بإذِنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أمْرنا نُذقه مِن عذَاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الكشور»[٣١]. وفي قوله تعالى «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل» ما يفهم منه حل عمل التماثيل لسليمان، بل يفهم عنه تشريع ذلك إذا لمحنا قوله تعالى «ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه» ومثله ما جاء عن عيسى «أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله»[٣٢].

ولقد جاء في البخاري تحريم التصوير معللاً بمضاهاته لحق الله، فإذا كان عمل التماثيل ضرباً من التصوير فإن الجمع بين حل التماثيل وخلق عيسى من الطين كهيئة الطير، وبين تحريم التصوير متعين، أما التفريق بينهما بأن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا فإنه لا يتيسر التسليم به في مثل هذا المقام، لا سيما إذا لاحظنا علة تحريم التصوير المنصوص عليها وهي مضاهاة خلق الله، فهذا النوع مما لا تتغير فيها الأحكام فيما يلوح لي وفوق كل ذي علم عليم.

وإني أرجو الله أن يوفق من هو أقدر مني على النظر في هذه المسألة للتوفيق بين

---

(٣١) الآيات من ١٠ إلى ١٣ من سورة سبأ.
(٣٢) الآية ٣٩ من سورة آل عمران.

حلها لسليمان ولعيسى وتحريمها علينا بعلة المضاهاة لخلق(٣٣) الله.

ومن أنوار آيات داود وسليمان ننتقل إلى آيات موسى والخضر صلوات الله عليهما وسلامه، وفي قصة موسى والخضر ما يتسحق العناية والتأمل والبحث وفيما نحن بصدده ما لا غنى عن استعراضه وعرضه ولنبدأ بما ورد في القصة في صحيح البخاري رضي الله عنه بالجزء الأول صفحة ٣٥ قال البخاري: باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله (حدثنا) عبدالله بن محمد قال حدثنا سفيان قال حدثنا عمرو قال حدثنا سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس: إن نوفاً البكّالي يزعم أن موسى ليس موسى بني إسرائيل وإنما هو موسى آخر. فقال: كذب عدو الله حدثنا أبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام موسى النبي خطيباً في يني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه فأوحى الله عليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال: يا رب وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مكتل فإذا فقدته فهو ثمّ فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحملا حوتاً في مكتل حتى كانا عند الصخرة وضعا رءوسهما وناما فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سربا وكان لموسى وفتاه عجباً فانطلقا هيئة ليلتهما ويومهما فلما أصبحا قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصباً. ولم يجد موسى من التعب حتى جاوز المكان الذي أمر به فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال: ذلك ما كنا نبغ فارتدًا على آثارهما قصصاً. فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجًى بثوب أو قال تسجّى بثوبه فسلم موسى فقال الخضر وأنّى بأرضك السلام فقال: أنا موسى فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم وقال: أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم علمكه لا أعلمه قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرف الخضر فحملوهما بغير نول فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر

(٣٣) لقد ورد في الحديث الشريف «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون» فإذا كانوا أشد الناس على ما يوجد بين الناس من الكفار والمشركين دل ذلك أن المصورين أشد كفراً وأعظم شركاً ولكي يتسق الذنب مع الجزاء لا بد أن يكون المصورون يصل عملهم بتغذية الشرك بأسباب بقائه واستمراره ونحن نعلم أن النصارى لهم فنون في عبادة التصاوير والمبالغة الشديدة في تقديسها وتعظيمها، ولذلك كان على المصورين كفل من وزرهم وحظ من تأليه صورهم.

نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيعَ معي صبراً قال: لا تؤاخذني بما نسيت فكانت الأولى من موسى نسياناً فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأيه بيده فقال موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً قال ابن عيينة: وهذا أوكد، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيِّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض قام الخضر بيده فأقامه فقال له موسى: لو شئت لاتخدتَ عليه أجراً قال: هذا فراق بيني وبينك. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يرحم الله موسى لو صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما) انتهى من البخاري.

هذه هي قصة موسى والخضر نقلناها من صحيح الإمام البخاري ولقد قصها القرآن الكريم أروع القصص وأحسنه في سورة الكهف قال: «وإذ قال موسى لفتاه لا أبرحُ حَتَىَ أبْلُغَ مَجْمَعَ البْحَرينْ أو أمْضِيَ حُقُباً. فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سَرباً فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سَفَرنا هذا نصباً. قال أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت ما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتَّخَذَ سَبيله في البحر عجبا. قال ذلك ما كنا نبغ فارْتَدا على آثارهما قصصاً فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً قال له موسى: هل أتبعك على أن تعلمن مما عُلِّمْت رُشدا قال: إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً. فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً. قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال لاتؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عُسْرا فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً قال إن سألتكَ عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عُذراً. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن يَنقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السَّفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم مَلِكٌ يأخذ كل سفينة غصباً وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا

أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربُّهما خيراً مِنْه زكاة وأقرب رحْمَا وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً) وبعد، فإن في القصة من ملامح الجمال والتشريع ومطالع الفضل ما يشغف قلوب المؤمنين بباريها ويحدوها إلى ابتغاء فضله وجزيل هباته وعظيم نفحاته كالتي حظي بها الخضر وأمثاله من عباد الله الصالحين.

وإن أهم ما يسترعي النظر بإمعان في قصة موسى والخضر هو قتل الغلام باقتلاع رقبته من بين كتفيه وهو أي الغلام في ظاهره زكي لم يقترف ما يستحق به القتل ومن ثم أكبر موسى فعلة الخضر واستفظعها وقال له: لقد جئت شيئاً نكراً ولكنه استكان للخضر ولم يبد حراكاً ناظراً إلى إعلام الله له من أن خضراً أعلم منه. فأذعن لما ذكر له الخضر من الأسباب التي بررت له قتل الغلام للغاية من قتله كما بررت له خرق السفينة وإقامة الجدار. ولا ريب أن في هذه القصة عبرة عظيمة لأولي الأبصار وفيها مسرح لبحث النظار من حيث إنها جاءت في ظاهرها مخالفة كل المخالفة للشرع المعروف والحكم المألوف ولكن الغاية السامية الشريفة والمنفعة الكبيرة المؤكدة الوقوع المترتبة على تلك المخالفة لهي بما لا يمتري في حسنها الباحثون على أن خضراً قال لموسى ذلك ما لم تستطع عليه صبراً وما لم تحط به خبرا.

وما فعلته من أمري. فهو يشير إلى أنه إنما فعله بأمر الله ولله الأمر كله إلا أن معرفة أمر الله لا تكون إلا بإعلام من الله لعبده، والإعلام إنما يكون بواحدة من ثلاث قصهن القرآن الكريم بقوله تعالى «وما كانَ لِبَشر أنْ يُكلمهُ الله إلاَّ وحْياً أوْ مِنْ وَرَاء حِجَاب أوْ يُرسِل رَسُولا فَيوحِيَ بإذنه ما يَشاء» ولا ندري بأي منهن كان إعلام الله للخضر والخضر لم يكن نبياً على ما ذهب إلي الأكثرون، ولعل إعلامه كان من وراء حجاب بأن سمع من قبل الله كما سمع موسى من قبل ما لا يرتاب في صدقه فاستجاب له، وعمل به.

وهنا نقول: إن مثل هذا السمع أو الاستماع قد نقل وقوعه لكثير من أولياء الله ونقل عنهم الثقات صحة ما أخبروا به إلا أنه لا يتجه أن نسمع لأحد أو نصدقه أنه أمر بمخالفة الشريعة. لأن الله لم يخبر عن أحد بمثل ما أخبر به جل شأنه موسى عن الخضر على لسان نبيه وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله بالجزء الخامس صفحة ١٩٧ أن نجدة كتب إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن قتل الصبيان فأجابه ابن

عباس بأن قتل الصبيان لا يجوز إلا إن كنت تعلم ما علم الخضر من قتل الصبي الذي قتل، وبهذا الحديث عن حبر الأمة يسد الباب على الأدعياء والحمد لله.

ومهما يكن من شيء فإن القصة تشيد أعظم إشادة بمكانة أولياء الله وهي حجة بالغة على أن الله جل شأنه يمنحهم من الكشوفات الصحيحة ما تقرّ به أعين المؤمنين وعل أضواء ما وقع في ظاهر الأمر مخالفاً لظاهر الشرع في قصة موسى مع الخضر ويوسف مع إخوته برر بعض العلماء ما وقع كذلك مت الأكابر الهادفين إلى تهذيب نفوسهم أو تهذيب غيرهم وهم على يقين من أن هدفهم يبرر المخالفة لظاهر الشرع، لا لمقاصده بالنسبة لهم، كما فعل الخضر وكما فعل يوسف. ولعلهم لا يجدون بدأ من ارتكاب المخالفة لما حصل لهم من العلم اللدني الذي لا مندوحة لهم من الاستجابة للعمل بموجبه. وإن استحقوا نقد العامة والخاصة الذين لا يعلمون علمهم، وعلى هذا يحمل ما روي عن الإمام جعفر الصادق:

يا رب جوهر علـــم لو أبوح به لقيـل لي: أنت ممـن يعبـد الصنمـا

وعليه يحمل ما رواه الإمام البخاري رضي الله عنه بالجزء الأول صفحة ٣٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لقد حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاءين من العلم أما أحدهما فقد بَثَثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم» انتهى.

ولا ريب أن البلعوم لا يقطع إلا إذا كان ما يبثه مخالفاً للشرع مخالفة توجب قطع البلعوم. ومما يسند هذا الحمل ما فعله يوسف الصديق حينما أمر بجعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذنه في العير بأنهم سارقون وما سرقوا ولكن يوسف هو الذي أمر بوضع السقاية في رحل أخيه ثم اتهم العير ليصل بذلك كله وهو مخالف للشرع إلى احتجاز أخيه بحجة أنه سرق، لأنه وجد في رحله صواع الملك وما كان ليأخذ يوسف أخاه في دين الملك أي في شرعه إلا بهذه الحيلة التي ارتكبها مخالفة للواقع، وفوق كل ذي علم عليم. ويحتمل أن يوسف قد فعل ذلك بوحي وعندئذ لا يكون إلا موافقاً لما أمر به في باطن الأمر.

ولا ريب أن ظاهر صنيع يوسف مخالف للشرع وافتيات على العير وإيقاع بها وإنما برر ذلك ليوسف أنه هادف إلى غاية شريفة محمودة. ومن ثم برر بعض العلماء كما قلنا سابقاً المخالفة لظاهر الشرع مترعاً بها إلى غاية سامية تربو منفعتها في تقدير الشرع

نفسه في باطن الأمر على المفسدة الحاصلة بالمخالفة لظاهر الشرع، شريطة أن يكون تحقق الغاية وترتب المنفعة الكبيرة أمر لا بد منه، وأنه مطلب شرعي، ومن ثم قال ابن عباس لنجدة عندما سأله عن جواز قتل الصبيان فأفتاه ابن عباس بأن قتل الصبيان لا يجوز إلا إن كنت تعلم ما علم الخضر من قتل الصبي الذي قتل، والقاعدة الأصولية تقول إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

والضرورات تبيح المحظورات، واحتمال صغرى المفسدتين لدفع أكبرهما متعين ولا بد من صحة العلم بتحقيق المنفعة الكبرى في كل ما سبق.

ولعل في قوله تعالى في سورة الأعراف حاكياً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ولو كنتُ أعلمَ الغيبَ لاستكثرت مِنَ الخير ومَا مَسَّني السوء»[٣٤] لعل في هذه الآية ما يستأنس به لما سبق شريطة أن يكون العلم صحيحاً. ومن عند الله وما كان كذلك لعله يجب تعاطيه في حق العالم به وإن انتقده الناس وعدوه مذنباً في ظاهر الأمر. وذلك كان أمر موسى والخضر ويوسف. وربما كانت من مقاصد ذكر القرآن كقصتي موسى والخضر ويوسف وإخواته الإشارة إلى جواز أن يكون لغير الخضر ويوسف مثل أو قريب مما سوغ لهما شريطة أن يكون العلم بالغاً مبلغ اليقين بتحقق رجحان المنفعة على المفسدة وأن يكون العلم من عند الله وللإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره، ولا يخفى أن الأمر الواحد يكون بحالين مختلفين حُسْناً وقُبْحاً كأكل الميتة للمضطر فإنه حلال حسن وهو حرام قبيح لغير المضطر وإنما حل وحسن للمضطر لأنه يحقق مطلباً شرعياً هو إحياء النفس التي يقول الله فيها: «من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً».

---

(٣٤) من الآية ١٨٨ من سورة الأعراف.

يقول صاحب كتاب البراهين الجلية في جواز الاحتفال بمولد خير البرية الشيخ عبد الجبار المبارك تحت عنوان: **العلماء الذين كتبوا أو أفتوا بجواز المولد:**

وقد يظن كثير من قليلي العلم أو عوام الدعاة أن كتابة المولد والاهتمام به بدعة صوفية لم يهتم بها ولم يؤلف فيها (الموالد) إلا الصوفية، فإلى هؤلاء الذين يظنون هذا الظن ويزعمون هذا الزعم نقول:

قد أفتى الكثير من علماء الأمة وصالحيها بجواز الاحتفال بالمولد النبوي وإليك البيان:

أولاً: من المالكية:

ـ الإمام أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي البلنسي المغربي المعروف بابن دحية وله في المولد كتابان ضخمان أحدهما يسمى (السراج المنير في مولد البشير النذير) والثاني (التنوير في مولد السراج المنير).

ـ القضاي أحمد بن مجمد العزفي ـ بفتحتين ـ نسبة إلى جده إلى عزفة والقاضي أحمد العزفي سبتي لخمي من تلاميذ القاضي أبي بكر بن العربي الفقيه المالكي الشهير. وقد ألف مولداً وسماه (الدر المنظم بمولد النبي الأعظم) ومات قبل إكماله فأكمله ولده القاضي محمد بن أحمد اللخمي.

ـ الشيخ ابن عبادة القدوري وهو من مشايخ الشيخ زروق وقد وردت فتواه بجواز الاحتفال بالمولد في (رسائله الكبرى).

ـ الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي المشهور بابن عاشر ـ صاحب المرشد المعين وكان من كبار الصالحين.

ـ الشيخ محمد البناني في حاشيته على الزرقاني.

ـ الشيخ الدردير في الشرح الكبير.

ـ الشيخ الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير.

ـ الشيخ الصاوي في حاشيته على الشرح الصغير.

ـ والشيخ محمد عليش في شرحه على مختصر خليل.

هذا وقد أجاز فضيلة الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك رئيس القضاء الشرعي بدولة

الإمارات العربية المتحدة ـ وهو من مشاهير علماء المذهب المالكي الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم. وله مقال ممتاز عن حكم الاحتفال بمولد الرسول الكريم نشرته مجلة منار الإسلام ـ العدد ٦ السنة السادسة بتاريخ جمادي الآخرة ١٤٠١ هجرية ـ ابريل ـ مايو ١٩٨١ ص ٩ ـ ١١ فقد جاء فيها قوله: (إن الاجتماع في ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وإظهار البهجة والسرور بهذه المناسبة وإلقاء والمحاضرات في المواضيع التي لها صلة بحياته وجهاده لأخذ العبرة من ذلك وليتأسى الناس بسيرته وأخلاقه ويهتدوا بهديه يعتبر أمراً مباحاً إن لم نقل مرغوباً فيه لأن للمناسبات دوراً كبيراً في إثارة العواطف وتهيئة النفوس لما يلقى عليها من كل ما له صلة بذلك المجال.

وإذا كان ذلك لم يقع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة رضوان الله عليهم فإن ذلك لا يجعله بدعة منكرة لأن البدع منها ما هو مذموم ومنها ما هو مستحسن ومنها ما هو جائز... حتى يقول: وعليه فإن الاجتماع في المسجد لالقاء الدروس التي تتناول (سيرة المصطفى وأحواله) ونحوها لم يكن جديداً على المسلمين وإنما فعله جهابذة الفقهاء والمحدثين من المالكية وغيرهم منذ مئات السنين، هذا فيما إذا لم يخالط الاحتفال ارتكاب المحرمات كما هو الغالب في هذا الزمن فإنه يحرم كما ذكره الهيثمي وغيره. لذلك نرى أن تقتصر هذه الاجتماعات على المساجد لئلا تؤدي إلى فتح باب المناكر...).

هذا وقد علل الشيخ أحمد آل المبارك قصر الاحتفالات بالمولد على المساجد بقوله: (لئلا تؤدي إلى فتح باب المناكر) ـ وهذا يعني أنه إذا زالت العلة انتفى المعلول. إذ العلة تدور مع معلولها وجوداً وعدماً فإذا لم يكن ثمة مناكر في ميادين الاحتفال بالمولد فالأمر مباح ولا حرج فيه.

ومن علماء المالكية المعاصرين الذين أجازوا الاحتفال بالمولد النبوي العلامة:

ـ الشيخ علوي المالكي.

ـ الشيخ محمد الحسن المالكي.

ـ والعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وله في المولد كتاب أسماه (قصة المولد) وقد ضمنه مع قصة المولد الكثير من صور آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم مثل ـ شعرات من لحية النبي الشريفة، وسنه، وخاتمه، ولواؤه وبردته، وقوس النبي

صلى الله عليه وسلم، وسيفاه وأثر قدمه الشريف مأخوذاً عن نعله الأيمن صلوات الله وسلامه عليه. وصور هذه الآثار جميعها موجودة بحوزتي والحمد لله.

الذين أفتوا بجواز الاحتفال بمولد المصطفى من علماء الشافعية:

أفتى بجواز الاحتفال عدد كبير منهم ونذكر منهم على سبيل المثال:

ـ الإمام الشيخ أبو شامة وهو شيخ الإمام يحيى بن شرف النووي وقد قال في ذلك (ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم).

ـ الإمام يحيى بن شرف النووي وكان ممن يحضر المولد.

ـ الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي.

ـ الإمام القاضي عبد الوهاب بن علي السبكي صاحب طبقات الشافعية.

ـ الإمام عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التفسير المشهور وصاحب البداية والنهاية. وقد بلغ به إيمانه بجواز الاحتفال بالمولد أن ألف مولداً لطيفاً مستفيداً فيه من مولد ابن دحية. وقد نظم مولد ابن كثير العلامة الشيخ محمد بن سالم بن حفيظ العلوي الحسيني وقد جاء فيه بعد المقدمة:

وبعد هذا ذكر بعض ما ورد ... في مولد المختار مما يعتمد
من الأحاديث أو الآثار ... مما رواه سادة الأخبار
وكلها عن كتبهم منقولة ... وهي لدى حفاظهم مقبولة
كما أتى في مولد النحرير ... ابن كثير صاحب التفسير

ـ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالله القيسي المشهور بالحافظ ابن ناصر الدمشقي وهو من أكابر الحفاظ وأئمة فقهاء الشافعية. وقد كان ممن يجيزون الاحتفال بالمولد. بل لقد بلغ به حب المولد النبوي والاحتفال به أن ألف فيه ثلاثة موالد ذكرها الأستاذ حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون وهي:

١ ـ جامع الآثار في مولد النبي المختار ويقع في ثلاثة مجلدات.

٢ ـ اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق.

٣ ــ مورد الصادي في مولد الهادي.

ــ الإمام عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن الشهير بالحافظ العراقي وهو من أشهر المحدثين الحفاظ في القرن الثامن الهجري. وقد تخرج عليه الإمام الحافظ بن حجر العسقلاني. وقد كان الحافظ العراقي ممن يجيز الاحتفال بالمولد النبوي وقد ألف مولداً شريفاً أسماه (المورد الهني في المولد النبوي).

ــ الإمام ابن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محم دبن محمد بن حجر. قاضي القضاة وأمير المؤمنين في الحديث صاحب فتح الباري. كان يرى جواز الاحتفال بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم وأورد لذلك بعض الأدلة الصحيحة كما ذكر ذلك الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه الحاوي على الفتاوى والشيخ السخاوي كما نقل عنه العلامة ملا علي القارئ المحدث الحنفي في كتابه المورد الروي ص٣٠٧ قال السخاوي: (بل خرج شيخ مشايخ الإسلام خاتمة الأئمة العلامة أبو الفضل بن حجر الأستاذ المعتبر تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته فعل المولد على أصل ثابت يميل إلى الاستناد إليه كل همام. وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ــ قالوا بعد حجة الوداع ــ فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى عليه السلام فنحن نصومه شكراً لله عز وجل، فقال صلى الله عليه وسلم فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه ...) الحديث.

وقد قال الإمام ابن حجر العسقلاني تعليقاً على هذا الحديث: (فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة أو رفع نقمة. ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة).

وهذا الكلام من شيخ الإسلام ابن حجر واضح الدلالة على أن اجازته الاحتفال بالمولد النبوي كل عام باعتبار ان مولده وبعثته وجعلنا من أمته صلى الله عليه وسلم نعمة عظيمة لا تعد لها نعمة.

ــ الإمام السخاوي ــ وهو العلامة محمد بن عبد الرحمن بن محمد قال عنه العلامة الشوكاني في البدر الطالع (هو من الأئمة الكبار) وقال ابن فهد (لم أر في الحفاظ المتأخرين مثله). وقد ألف في المولد رسالة صغيرة وهي في غاية الدقة والاتقان والافادة. وقد كان رضي الله عنه يشهد احتفالات المولد وقد جاء ذلك في قوله

(وكنت ممن تشرف بإدراك المولد النبوي في مكة المشرفة عدة سنين، وتعرفت ما اشتمل عليه من البركة المشار لبعضها بالتعيين وتكررت زيارتي فيه لمحل المولد المستفيض، وتصورت فكرتي ما هنالك من الفخر الطويل العريض).

ـ الإمام جلال الدين السيوطي.

وهو الإمام العلامة الذي كان بحراً من العلوم لا ينزف مع تقى وصدق وورع وقد أجاز الاحتفال بالمولد النبوي الكريم ووجه ذلك توجيهاً متقناً محرراً في فتواه التي جاءت في كتابه الحاوي على الفتاوى.

هذا ولو ذهبنا نعدد كبار علماء الشافعية الذين أجازوا الاحتفال بالمولد النبوي بل وشاركوا فيه لطال بنا الحديث. وليكن فيما أوردناه منهم مثالاً لمن ألقى السمع وهو شهيد.

علماء الحنابلة الذين أجازوا المولد:

وقد أجاز عدد كبير من علماء المذهب الحنبلي الاحتفال بالمولد ومنهم على سبيل المثال:

١ ـ الإمام ابن الجوزي وله مولد مطبوع متداول يسمى (مولد العروس).

٢ ـ ابن رجب والبرزلي وغيرهم من محدثي الحنابلة في القرن الثامن الهجري.

* هذا وقد أهداني الأخ الحبيب فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن علوي بن عباس الحسني المالكي في شهر ذي الحجة عام ١٤٠١ هجرية مجموعة مؤلفات والده العلامة الشيخ علوي بن عباس الحسني المالكي المطبوعة، ومجموعة مؤلفاته المطبوعة جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً. ورحم الشيخ علوي بن عباس المالكي وأجزل له الثواب.

وقد وجدت من ضمن مؤلفات الأخ الفاضل الشيخ الدكتور محمد بن علوي بن عباس الحسني تحقيقاً وتعليقاً على كتاب (المورد الروي في المولد النبوي) من تأليف الإمام الحافظ المحدث الشيخ الملا علي القارئ بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي.

وقد أورد أخي الدكتور محمد بن علوي الحسني حول الاحتفال بالمولد النبوي وأدلة جواز الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم عبارات جياد وتقريرات مجاد مع توجيهات سديدة ونقول مفيدة. وقد كان السبق في بعضها إلى فضيلة العلامة الشيخ

محمد الحسن المالكي الذي قدم لمولد الإمام ابن كثير وصححه. وقد طبع نظم مولد الحافظ بن كثير بتقديم وتصحيح محمد الحسن المالكي بالمطبعة العصرية بحلب في شوال عام ١٣٨٧ هجرية.

وقد أفدت في بحثي هذا من كتاب المورد الروي في المولد النبوي تحقيق وتعليق أخي الشيخ د/ محمد بن علوي بن عباس الحسني.

هذا وقد ذكر فضيلة الدكتور الشيخ (محمد) في الصفحة (٣) من كتاب (المورد الروي في المولد النبوي) أنه من منن الله عليه أن وفقه من قبل للقيام بتحقيق وتعليق وتخريج أحاديث (المولد النبوي) الذي ألفه الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن يوسف المشهور بابن الديبع ـ بكسر الدال وجاء قول بفتحها ـ وتعني بلغة السودان (الأبيض) الشيباني. وابن الديبع الشيباني من كبار علماء الشافعية ومن كبار المحدثين وقد خدم السنة النبوية عبر كتابة تيسير الوصول إلى سنة الرسول وهو اختصار لكتاب جامع الأصول لإمام أبي السعادات بن الأثير الجزري.

هذا وقد قال الشيخ محمد حامد الفقي عن ابن الديبع الشيباني مؤلف كتاب المولد النبوي (كان من أولئك الرجال الأفذاذ والعلماء الذين لا يزال ولن يزال صوتهم بالحق عالياً ودعوتهم إلى الله صادقة وان ذهبت بهم الأيام وفارقوا هذه الدار واستقروا بدار الرحمة والاكرام... الخ) ا.هـ. تيسير الوصول ج ١ (د).

ردأ على الذين ينكرون الاحتفال بالمولد النبوي:

ليس كل جديد بدعة

بقلم الدكتور: محمد سعيد رمضان البوطي

البدعة، بمعناها الاصطلاحي الشرعي، ضلالة يجب الابتعاد عنها، وينبغي التحذير من الوقوع فيها. ما في ذلك ريب ولا خلاف.

وأصل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه الشيخان «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وقوله فيما رواه مسلم: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

ولكن ما هو المعنى المراد من كلمة «بدعة» هذه؟

هل المراد بها معناها اللغوي الذي تعارف عليه الناس، فيكون المقصود بها إذن، كل جديد طارئ على حياة المسلم، مما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه، ولم يكن معروفاً لديهم؟..

إن الحياة ما تزال تتحول بأصحابها من حال إلى حال، وتنقلهم من طور إلى آخر.. ولا مطمع في إمكان التغلب على قانونها هذا، وربطه بمسمار من الثبات والجمود على حالة واحدة، على مر الأزمنة والعصور. وحتى الفترة القصيرة التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، لم تجمد الحياة خلالها على نسق مطرد ثابت، بل استقبل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها أطواراً إثر أطوار.. ولكن (لحسن حظ ذلك الرعيل الأول) كان المصطفى صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، فكان يرحب بسنة الحياة هذه، دون أي مقاومة لها أو ثورة عليها. فكم من عرف جديد أيده، وكم من كشف طارئ على حياة الصحابة والعرب رحب به ودعا إليه، بعد أن تأمل فرآه لا يخالف من أصول الدين وأحكامه شيئاً. بل ربما يسر سبيل إحيائه والأخذ به على خير وجه. حتى استظهر علماء الشريعة الإسلامية من ذلك، القاعدة القائلة: الأصل في الأشياء الإباحة، واستنبط من ذلك علماء الحنفية وآخرون.. ان العرف ــ بقيود معينة ــ مصدر لا يستهان به من مصادر الشريعة وأحكامها.

لا يعقل ـ إذن ـ أن يكون المقصود بالبدعة هذا المعنى اللغوي العام. بل ما رأينا واحداً من علماء المسلمين وفقهائهم ذهب في تفسير البدعة وتعريفها هذا المذهب العجيب. وإنما تنطوي الكلمة على معنى اصطلاحي خاص، فما هو؟

البدعة والدين:

أمامي تعريفات كثيرة للبدعة، كلها يدور في فلك معنى اصطلاحي واحد، وان تخالفت من حيث الصياغة والأسلوب. ولكني اختار منها تعريفين عرفها بهما الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام وذلك لسببين: أحدهما ـ ان الشاطبي يعد في مقدمة من خدم هذا البحث وتناوله بالشرح والتحليل من جوانبه. ثانيهما ـ انه يعد من أكثر العلماء المتقدمين محاربة للبدعة وتشدداً في الابتعاد عنها.

التعريف الأول، انها: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله عز وجل». «والتعريف الثان انها: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»».

وإنما رددها الشاطبي رحمه الله بين هذين التعريفين، نظراً لرأي من حصر البدعة في العبادات، ولرأي من عممها في سائر أنواع السلوك والتصرفات. على انه مال فيما بعد إلى أن البدعة إنما تختص بالعبادات سواء منها القلبية وهي العقائد أو السلوكية وهي سائر أنواع العبادات الأخرى.

ولا يعنينا الآن أن نقف عند هذا الترديد بأي نظر أو تمحيص. إنما الذي يعنينا أن نلاحظ قولهم في التعريف: «طريقة في الدين مخترعة..».

إذن، فلكي يأخذ السلوك معنى البدعة وحكمها، يجب أن يمارسه صاحبه على انه داخل في بنية الدين وانه جزء لا يتجزأ منه، مع انه في واقع الأمر على خلاف ذلك.. وتلك هي روح البدعة وسر تحذير الشارع منها، وذلك هو الملاحظ في تسميتها: «بدعة».

والمستند الذي يشكل الدليل القطعي على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه..» إذ المقصود ب«أمرنا هذا» الدين، كما هو واضح، وقوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الطحاوي: «ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في دين الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت يذل من أعز الله ويعز به

من أذل الله، والتارك لسنتي، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله».

ويتضح من ذلك ان مناط إنكار البدعة وردها على صاحبها، ان المبتدع يقحم في بنية الدين وجوهره ما ليس منه. ولما كان المشرع هو الله عز وجل، لم يبق مجال لأي تزيد أو تغيير على شرعه.

أما سائر الأفعال والتصرفات الأخرى، التي قد تصدر من الإنسان، دون أن يتصور انها جزء من جوهر الدين أو واحد من أحكامه، وإنما يندفع إليها ابتغاء تحقيق هدف أو مصلحة له، دينية كانت أو دنيوية: فهي أبعد ما تكون عن احتمال تسميتها بدعة، وان كانت مستحدثة في حياة المسلمين غير معروفة لهم من قبل، بل مآلها ان تصنف إما تحت ما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: سنة حسنة، أو تحت ما سماه: سنة سيئة. وأنت تعلم انه صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه مسلم وغيره: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

ما هو المعيار؟

ويحتاج بيان هذا الأمر إلى تفصيل طويل ولكننا نقتصر منه على الموجز التالي:

– إن كانت الأفعال والتصرفات التي تصدر من الإنسان (مما لا يدخل في معنى البدعة التي تم بيانها) تتعارض مع أوامر أو نواه ثابتة في الشرع، فهي تسمى مخالفات (محرمة أو مكروهة) لشرع الله عز وجل. لا فرق بين أن تكون هذه المخالفات مستحدثة أو تكون قديمة معروفة كالمباذل الأخلاقية والأندية التي تشيع فيها المنكرات. وأمرها واضح لا يحتاج إلى بحث.

– وإن كانت مرسلة، أي غير معارضة ولا موافقة لشيء من أحكام الشرع وآدابه التفصيلية. فهي تصبغ، من حيث أحكامها، بلون الآثار والنتائج التي تحققها. أي فما كان منها مؤدياً إلى تحقيق واحدة من سلم المصالح الخمسة التي جاء الدين لرعايتها (الدين والحياة والعقل والنسل والمال) فهو من قبيل السنة الحسنة، ثم انه يتفاوت ما بين الندب والوجوب، وحسب شدة الحاجة إليه لتحقيق تلك المصلحة، إذ قد يكون من ضرورياتها الذاتية وقد يكون من حاجياتهم الأساسية، وقد يكون من تحسينياتها

المفيدة... وما كان منها متسبباً إلى هدم واحدة من تلك المصالح أو الإضرار بها، فهو من نوع السنة السيئة، ثم ان درجة سوئه تتفاوت حسب مدى الضرر الذي قد يلحقه بتلك المصلحة، فقد يكون مكروهاً وقد يصبح محرماً. أما ما كان منه بعيداً عن أي تأثير ضار أو مفيد لسلم تلك المصالح، فهو من قبيل المباح أو من قبيل العفو، كما يعبر بعضهم.

وإذا استوعبنا هذه الحقيقة أدركنا انه ليس ثمة ما يسمى بالبدعة الحسنة، كما توهم ذلك بعض الباحثين. بل البدعة لا تكون إلا ضلالة قبيحة، وذلك لضرورة أنها تعني التزيد على الدين والإضافة إليه. وهو لا يمكن أن يكون حسناً بحال من الأحوال.

وإنما يدخل هذا الذي توهموه (بدعة حسنة) فيما سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة الحسنة، وهو ما اصطلح الأصوليون على تسميته فيما بعد بالمصالح المرسلة.

ومن أمثلة هذه السنة الحسنة تلك الاحتفالات التي يقوم بها المسلمون عند مناسبات معينة، كبدء العام الهجري، ومولد المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونحوها، مما يتوخى منه تحقيق خير يعود إلى مصلحة الدين، سواء على مستوى الضرورات أو الحاجيات أو التحسينات.

ومن المفروغ منه أن ذلك كله مشروط بألا تستتبع هذه الأعمال آثاراً ضارة تودي بجدوى ما حققته من المصالح أو تلحق الضرر بمصلحة مقدمة عليها.

«المولد» ليس بدعة:

هذا ما نعتقد انه المنهج العلمي الذي لا بديل عنه، عند الخوض في ذكر البدع ومحاربتها وجذب الناس عنها. ولا ريب ان إتباع المنهج العلمي يوصلنا إلى هذا القرار.

إن احتفالات المسلمين بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام والمناسبات المشابهة، لا تسمى بدعة قبل كل شيء. لأن أحداً من القائمين على أمرها لا يعتقد أنها جزء من جوهر الدين وأنها داخلة في قوامه وصلبه، بحيث إذا أهملت ارتكب المهملون على ذلك وزراً. وإنما هي نشاطات اجتماعية يتوخى منها تحقيق خير ديني.

ثم أنها لا تدخل تحت ما يسمى بالسنة السيئة أيضاً، ان روعي في إقامتها أن تخلو من الموبقات وأن تهذب عن كل ما قد يعود على الخير المرجو منها بالنقض أو الإفساد.

وإذا رأينا من يخلطها بما يسيء إلى نتائجها، فإن التنبيه يجب أن يتجه إلى هذا الخلط، لا إلى جوهر العمل بحد ذاته. وإلا فكم من عبادة صحيحة مشروعة يؤديها أناس على غيرَ وجهها، فتؤدي إلى نقيض الثمرة المرجوة منها. أفيكون ذلك مبرراً للتحذير من أدائها والقيام بها؟

نعم، ان اجتماع الناس على سماع قصة المولد النبوي الشريف، أمر استحدث بعد عصر النبوة، بل ما ظهر إلا في أوائل القرن السادس الهجري. ولكن أفيكون ذلك وحده كافياً لتسميته بدعة، إلحاقه بما قال عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام: كل من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد!؟ إذن فليجردوا حياتهم من كل ما استحدث بعد عهده عليه الصلاة والسلام - إن كانوا يستطيعون - فإن كل ذلك من البدع!

أقول بعد هذا كله: فلنفرض اننا مخطئون في فهم «البدعة» على هذا النحو، وان الصواب ما يقوله الآخرون من ان كل ما استحدثه الناس، حتى مما لا يدخلونه في جوهر الدين وأحكامه، بدعة محرمة - فإن المسألة تغدو عندئذ من المسائل المختلف في شأنها والخاضعة للاجتهاد.

ومما هو معروف في آداب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن القائم بهذا الشأن ينبغي (كلما وقف في موقف عام) أن ينهي عن المنكرات المجمع على أنها كذلك، ولا ينصرف عنها إلى النهي عما اختلف فيه المسلمون من المسائل الاجتهادية التي لا يكلف المجتهدون فيها بأكثر من الوقوف عندما قضت به اجتهاداتهم وفهومهم. إذ الإمعان في النهي عن هذه المسائل لا يمكن أن ينتهي إلا إلى إثارة أسباب الشقاق وتصديع وحدة المسلمين وبث عوامل البغضاء فيما بينهم.

وان في حياتنا ومن حولنا من المنكرات الشنيعة والمفاسد الخطيرة، التي لا خلاف في مدى جسامتها وسوء آثارها، ما يكفي لأن نمضي العمر كله في معالجتها والسعي إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف للقضاء عليها. فلماذا نتشاغل عن هذا الذي أجمعت الأمة على انه من المنكر الذي لا عذر في السكوت عليه، ثم نشتغل بالانتصار لاجتهاداتنا الشخصية ومحاربة ما يقابلها ويكافئها من الاجتهادات الأخرى؟! ا.هـ. مقال الدكتور البوطي.

من تقاريظ الشعراء

ميلاد أحمد للحياة حياة وبه تجلت في الورى بركات
فمحمد خير الوجود وإنه للكائنات الرحمة المهداة

كمال حمزة

مستشار صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم

نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي

نعم الإله على الورى بمحمد خير البرية إنها خير النعم
ميلاده ميلاد أعظم أمة سادت به كل الخلائق والأمم

الحاج ناصر راشد لوتاه

حب النبي مدى الحياة مناري والمدح فيه طبيعتي وشعاري
أنا من وهبت الروح فهي رخيصة في مدح طه المصطفى المختار

محمد عبدالله الحداد مدير مستشفى الكويت

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه نعمة الإله تجلت للبرايا وأشرقت بالبشائر
نحن نلنا به أجل مقام وبه نحن أنجم ومنائر
وعلونا على الشموس ضياء وبنينا للكون زخر المفاخر

خميس دودين مدير المطبعة الاقتصادية

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
كلمة الشيخ محمد بن الشيخ حسن الخزرجي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة	٥
كلمة يوسف بن السيد هاشم الرفاعي وزير الأوقاف في دولة الكويت سابقاً	٩
هو حامد من آل بيت المصطفى	١٤
تعريف بالإمام العلامة السيد حامد المحضار	١٥
مقدمة الطبعة الأولى ـ محمد نجيب المطيعي	١٧
مشروعية الاحتفال بالمولد الشريف	١٨
الشواهد من احتفاء القرآن	١٩
بميلاد مريم	١٩
وميلاد يحيى	٢٠
وميلاد عيسى	٢١
ما كان ميلاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم أقل شأناً	٢٢
شوقي وقصيدة ولد الهدى	٢٣
الأمر بذكر النعم في القرآن	٢٥
قد يعترض معترض ألا دليل	٢٦
ولدينا دليل آخر مدني أنصاري	٢٧
الاحتجاج بعدم وجوده في عهده صلى الله عليه وآله وسلم	٣٦
كلام جيد في السنة والبدعة	٣٨
الكلام على ليلة الإسراء	٣٩
رؤيا إبراهيم عليه السلام	٤٠

سجود إخوة يوسف ليس عبادة ٤٤
رؤيا صاحبي السجن ٤٥
رؤيا العزيز ٤٦
جيران وادي النيل وأدبهم ٤٦
أنوار آيات القرآن في داود وسليمان ٤٧
المعجزات والكرامات ٤٨
الكلام في تحريم الصور ٤٩
أنوار آيات القرآن في موسى والخضر ٥٠
كلام على قوله تعالى: ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ٥١
الأولياء والكشوفات الصحيحة ٥٣
آراء الأئمة في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ٦٠
رأي الدكتور محمد سعيد البوطي في البدعة ٦١
من تقاريظ الشعراء ٦٦